القبائل العربية في الوجه البحري في مصر في العصر المملوكي الثاني (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

إعداد
عبد المطلب فهد البخيت

المشرف
الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

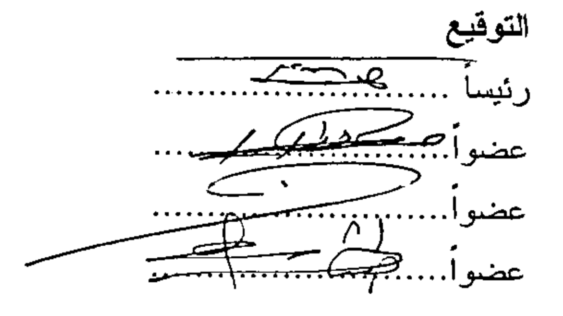
قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الاردنية

آيار ٢٠٠١

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢٢م

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري	رئيساً ....
الاستاذ الدكتور صالح درادكة	عضواً........................
الاستاذ الدكتور فالح حسين	عضواً........................
الدكتـــور طـــه الطراونه	عضواً........................



الإهـــــــداء

إلى ذكرى والدي

وإلى

زوجتي وابنائي

اهـــدي هذا العطـــاء المتـــواضع

شكر وتقدير

عميق شكري للمشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الذي لم يـأل جهداً في قراءة هذه الرسالة وتتبعها ومناقشتي في أفكارها ومحاورهـا وإبـداء الملاحظـات المهمة التي كان لها الأثر الكبير في إعداد هذه الرسالة، فله من التقدير أجله، ومـن الشـكر أكثره.

وأتقدم بالشكر الخاص لأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت الـذي لـم يبخـل علـيّ بارشاداته وملاحظاته القيمة طوال فترة إعداد هذه الرسالة. وأشكر كذلك الأخ علي بن تميـم الذي لم يتوانى في تقديم المساعدة والنصح خلال مراحل اعداد هذه الرسالة.

وجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة : الاسـتاذ الدكتـور صـالح درادكة، والاستاذ الدكتور فالح حسين ، والدكتور طه الطراونه، لتفضلهم بقراءة هذه الرسـالة، وإثرائها بملاحظاتهم، وتوجيهاتهم، سائلاً المولى أن يمن عليّ بالإستفادة من علمهم الغزير.

المختصرات بالرموز

الرموز والمختصرات العربية:

يشار للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:

(١) يذكر في الهامش اسم المؤلف أو اسم الشهرة، والكلمة الأولى من اسم كتابه، ثم الجـــزء (في حالة وجود أجزاء)، والصفحة.

(٢) في حالة ورود اسم الكتاب مرتين متتاليتين استعمل الرمز (ن.م) للإشـــارة إلـــى نفــس المصدر أو نفس المرجع.

- ص: صفحة
- ج: جزء
- ط: طبعة
- م: مجلد
- ق: قسم
- ع: عدد
- ت: تاريخ الوفاة
- هـ: هجري
- د.ت: دون الاشارة لتاريخ النشر
- د.ط: دون طبعة
- د.ن: دون الاشارة إلى الناشر

فهرس المحتويات

الملخص باللغة العربية

القبائل العربية في الوجه البحري في مصر في العصر المملوكي الثاني

(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

إعداد: عبد المطلب فهد البخيت

اشراف الاستاذ الدكتور: عبد العزيز الدوري

تتمثل اهمية هذه الدراسة في أنها تحاول أن تتبع القبائل العربية في الوجه البحري في مصر في العصر المملوكي الثاني، في ظل ندرة الدراسات الحديثة التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

ولعل أهم المشاكل التي واجهها الباحث، هي ندرة الأخبار المتعلقة بأحوال القبائل العربية وبخاصة الاجتماعية منها. ويمكن أن يرجع ذلك إلى النظرة التي تنتقص من شأن القبائل العربية في تلك الفترة، بحيث يصبح الحديث عنها أمراً ليس ذي أهمية، وقد يُفسر استخدام كلمة "العربان" بدلاً من العرب دليلاً على ذلك، علاوة على موقف القبائل العربية السياسي الرافض للسلطة المملوكية.

وتبرز مشكلة أخرى ذات أهمية واضحة تتمثل في صعوبة متابعة أحوال القبائل العربية في فترة الدراسة، نظراً لتعدد القبائل وانتشارها على مساحات واسعة تمتد بين رفح آخر حدود الوجه البحري من الشرق وحتى برقة في أقصى غربه.

ويزيد من صعوبة المشكلة تحرك هذه القبائل داخل الوجه البحري، أو إلى الصعيد، لأسباب سياسية تتصل بعلاقتها بالدولة، أو لأسباب قبلية ناتجة عن الصراعات بين القبائل العربية، أو بين بطون القبيلة الواحدة.

لقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، تناول الفصل الأول وصف المنطقة التـــي شهدت تحركات القبائل العربية ونشاطاتها، والتقسيمات الإدارية للوجه البحري، ثم الحديـــث عن القبائل العربية ومنازلها. واستتبع ذلك توضيح هذه الأماكن على خارطة رصدت أمـــاكن القبائل العربية في الوجه البحري وتجمعاتها.

أما الفصل الثاني فلقد خصص للحديث عن المماليك الجراكســـة والقبـــائل العربيـــة، وتناول سياسة المماليك تجاه القبائل العربية وموقف القبائل من هذه السياسة، والنتـــائج التـــي ترتبت عليها، مركزا على موقف القبائل العربية من قيام الدولة، والواجبات التي ترتبت عليها.

وتناول الفصل الثالث حركات القبائل العربية، وتتبع أهم الحركات التي قـــامت بـــها احتجاجا على سياسات الدولة تجاهها. أما الفصل الرابع، فقد عنيّ بأوضاع القبـــائل العربيـــة الاجتماعية والاقتصادية، وتناول إقطاعات أُمراء القبـــائل العربيـــة، ومكانتـــهم الاجتماعيـــة والاقتصادية، ودورهم المؤثر في النشاط الاقتصادي.

كما تعرض الباحث إلى الأوضاع الاجتماعية للقبائل العربية المتمثلة فـــي نشـــاطاتها الاجتماعية كالزواج، والمآتم، ومكانة المرأة، وحياة الترف التي عاشها بعض أُمراء القبـــائل العربية.

مقدمة

فتح التوسع العربي الإسلامي باب الهجرة للقبائل العربية إلى مصر، وكانت الخلافة تشجع هجرة هذه القبائل، وتسجل كل قادم منها في الديوان[١]. كما ساهم ولاة مصر في زيادة أعداد هذه القبائل، فبعض الولاة لم يكن يأتي إلى مصر ليتولى عمله بها وحده، بل كان يصطحب معه مجموعة من الناس بعضهم على الأقل من بني قبيلته، وفي حالات عديدة كان هؤلاء المرافقون للوالي ينضمون إلى قبائلهم في مصر، ويستمرون على الإقامة فيها بعد إنتهاء ولاية الوالي وانصرافه عن مصر.

ففي سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) ادخل أيوب بن شرحبيل أمير مصر خمسة آلاف بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وسجلوا في ديوان مصر وأقاموا فيها. وفي سنة (١٠٩هـ/٧٢٧م) طلب عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك الإذن بتسيير جماعات من قيس إلى مصر، فلما أذن له الخليفة جاء بألف وخمسمائة بيت وأنزلهم في بلبيس. ثم لحقت جماعات من قيس بالحوثرة بن سهيل الباهلي الذي ولي مصر سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)، فارتفعت بذلك أعداد قيس من ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ بيت، واستمرت هجرة قيس إلى مصر حتى بلغ عددهم في ولاية محمد بن سعيد سنة (١٥٣هـ/٧٧٠م)، خمسة آلاف ومائتي أهل بيت[٢]. ودخلت أعداد من الأزد مع الأمير يزيد بن حاتم الأزدي سنة (١٤٤هـ/٧٦١م).

---

(١) الدوري، التكوين، ص ٦٧.

(٢) عن هجرات قيس إلى مصر، انظر المقريزي، خطط، ج١، ص ١٢٨-١٢٩. المقريزي، البيان، ص ٦٦-٦٨. الدوري، التكوين، ص ٦٦-٦٧.

ولما تولى مسلمة بن يحيى البجلي مصر سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، اصطحب معه عشرة آلاف "من الجند" كان جلهم من قبيلة بجيلة. أما ربيعة فإن هجرتها تمت على الأغلب، في خلافة المتوكل (ت٢٤٧هـ)، حوالي بضع وأربعين ومائتين للهجرة[1].

وتفيد الأخبار أن هجرات القبائل العربية إلى مصر تراجعت في الفترة ما بين (٢٥٤-٣٥٧هـ/٨٦٨-٩٦٧م) بسبب تنامي النفوذ التركي الذي لم يشجع الهجرة، والذي استمر أثره منذ عهد الطولونيين (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٤م). إلى أواخر عهد الأخشيديين (٣٣٣-٣٥٧هـ/٩٤٤-٩٦٧م).

أما الفاطميون (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، فقد شجعوا هجرة القبائل العربية إلى مصر، حيث اتجهوا إلى الاعتماد على العرب لتدعيم سلطانهم والاستعانة بهم في حروبهم وهكذا شجعوا هجرة بني هلال (من القيسية) إلى مصر، وأنزلوهم في نواحي الشرقية[2]، كما نقلوا سنبس (من طي) من فلسطين سنة (٤٤٢هـ/١٠٥١م) وأسكنوهم في البحيرة.

ونقل الأيوبيون (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) أعداداً كبيرة من جرم وثعلبة من نواحي غزة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وأنزلوهم مع جذام في أطراف الشرقية[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قسماً كبيراً من هذه القبائل قد استقر في أطراف الوجه البحري، وفي الأرياف، واشتغلوا بالزراعة، والتجارة[4]، والتعدين. وآثر بعض القبائل القادمة حياة البداوة المتمثلة في التنقل وتربية الماشية والإبل.

---

(١) عابدين، البيان والإعراب مع دراسات في تاريخ العروبة، ص ١٠٦. البري، القبائل العربية، ص ٦٦-٦٧.

(٢) عابدين، البيان والإعراب مع دراسات في تاريخ العروبة، ص ١١٥-١١٧.

(٣) المقريزي، البيان، ص ٨،٩،٦.

(٤)المقريزي، البيان، ص ٦٧. المقريزي، خطط، ج١، ص ١٢٩.

وأدى وصول المماليك إلى الحكم في مصر إلى عزل العرب سياسياً ولم يـــروا مـــا يدعوهم إلى الاستعانة بالقبائل العربية، ويمكن اعتبار بداية حكم المماليك بالنســبة للـــهجرات العربية إلى مصر فاصلاً بين فترتين، فترة سابقة كان الحكام فيها يرحبون بالقبـــائل العربيـــة ويشجعون هجرتها، وفترة لاحقة اشتدت وطأة الحكام فيها على القبائل العربية، هـــذه الشـــدة قابلتها القبائل العربية في مصر بسلسلة من الثورات، وحركات التمرد.

وتحاول الدراسة أن تتبع سيرة القبائل العربية في الوجه البحري في العصر المملوكي الثاني، وتوضح ما آلت إليه أوضاع تلك القبائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولعل أهم المشاكل التي واجهها الباحث، هي ندرة الأخبار المتعلقة بـــأحوال القبـــائل العربية، وصعوبة متابعة تحركاتها، نظراً لتعددها. ويزيد من صعوبة المشكلة تحـــرك هـــذه القبائل داخل الوجه البحري، وإلى الصعيد، لأسباب تتصل بعلاقاتها بالدولة، أو لأسباب قبلية.

لقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، تناول الفصل الأول وصف المنطقة التـــي شهدت تحركات القبائل العربية ونشاطاتها، والتقسيمات الإدارية للوجه البحري، ثم الحديـــث عن القبائل العربية ومنازلها، وتطلب هذا الأمر عمل خارطة تفصيلية للوجه البحري توضـــح أماكن القبائل العربية وتجمعاتها، والتقسيمات الإدارية للوجه البحري في العصـــر المملوكـــي الثاني.

أما الفصل الثاني، فقد خصص للحديث عن المماليك الجراكســـة والقبـــائل العربيـــة، وتناول سياسة المماليك تجاه القبائل العربية، وموقف القبائل من هذه السياسة، والنتائج التـــي ترتبت عليها، مركزاً على موقف القبائل من قيام الدولة، والواجبات التي ترتبت عليها.

وتناول الفصل الثالث حركات القبائل العربية، وتتبع أهم الحركات التي قـــامت بـــها القبائل العربية احتجاجاً على سياسات الدولة تجاهها.

أما الفصل الرابع، فقد عني بأوضاع القبائل العربية الاجتماعية والاقتصادية، وتنـــاول اقطاعات أُمراء القبائل العربية، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ودورهم المؤثـر في النشاط الاقتصادي. كما تعرض الباحث إلى الأوضاع الاجتماعية للقبائل العربية المتمثلـــة في نشاطاتها الاجتماعية كالزواج، ومكانة المرأة، وحياة الترف التي عاشـــها بعـــض أمـــراء القبائل العربية.

الفـــصل الأول

الجغـرافيا التــاريخية

أ-جغرافية الوجه البحري

ب-التقسيم الإداري

ج- القبائل العربية في الوجه البحري

الفـــصل الأول

الجغرافيا التاريخية

(أ)جغرافية الوجه البحري

يحسن ابتداءاً التعريف بالمنطقة التي شهدت تحركات القبائل العربية ونشاطاتها، وهـــي الوجه البحري.

يقسم سطح مصر من الناحية الطبيعية الى قسمين رئيسيين[١] هما:

مصر العليا أو الصعيد، ويسميها أهل مصر "الوجه القبلي"، نسبة الى مهب الجنـــوب[٢].

ومصر السفلى (أسفل الأرض) أو "الدلتا"، ويسميها أهل مصر "الوجه البحري"[٣]، نســـبة الـــى مهب الشمال[٤]، وينتهي عند البحر الرومي[٥](المتوسط).

وقد اختلف الجغرافيون [٦] في تحديد الموضع الذي تبدأ عنده الحدود الشمالية لمصـــر[٧] بين رفح[٨]، والعريش [٩]، والفرما[١٠] . وعلى الأرجح فإن حدود " الوجه البحري "، استناداً لما

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ايمن فؤاد، ج٢، ص ٩٧. ابن فضل الله العمـــري، التعريـــف، ص ٢٤٨. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١١٦، ١١٧. ابن اياس، بدائع، ج١، ق ١، ص ١٨.

(٢) المقريزي، خطط، ج ١، ص ١١٧.

(٣) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٤٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٤٧. ابن شاهين، زبده كشف، ص ٢٢،

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٦. المقريزي، خطط، ج١، ص ١١٧. الخالدي، المقصد الرفيـــع، ص ٢٨٥أ.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٦. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٤٧.

(٧) ن.م، ج٣، ص ٣٤٩.

(٨) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٤٨، ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٤٨، ابن دقماق، الانتصار، ج٢، ص ٤٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٤٧. المقريزي، خطط، ج١، ص ٢٩٦. ابن شاهين، زبدة كشف، ص ٢٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٥٧. السيوطي، حسن المحـــاضرة، ج١، ص ٢٥.

(٩) الحموي، معجم، ج٤، ص ١١٣. الخياري المدني، تحفة ج٢، ص ٢٠٦.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٣.

ذكره كل من العمري (ت ٧٥٠هـ) والقلقشندي (٨٢١هـ)، تبدأ إلى الغرب من مدينة رفح[١] وتسير غربا بمحاذاة الساحل عبر كثبان رملية الى العريش، ثم الى الفرما فالطينة، الى دمياط ورشيد ثم الإسكندرية حتى تصل برقة[٢].

والوجه البحري "هو كل ما سفل عن الجيزة إلى مصب النيل في البحر الشامي بدمياط ورشيد"[٣]، وتعتبر مدينة القاهرة قاعدة هذا الوجه[٤]. وهو يبدأ عند انقسام النيل إلى فرعين، عند مدينة شطنوف[٥]، يسير أحدهما وهو الشرقي إلى منطقة تنيس وأعمال دمياط، ويتجه الآخر إلى رشيد على ساحل البحر ويعرف بالغربي[٦]. ويبلغ طول الوجه البحري من جانبيه نحو ١٠٠ ميل لكل جانب، ليكّون منطقة مثلثة الشكل[٧]، عرفت بالدلتا، وهي منطقة زراعية غنية، تشكلت بفضل مادة الإبليز (الغرين) التي يحملها الفيضان، ويرسبها في هذه المنطقة، الأمر الذي يجدد من خصوبة التربة بشكل مستمر[٨].

ويتميز الوجه البحري برطوبته المعتدلة وخصوبته العالية[٩]، مما ساعد على تنوع المزروعات فيه[١٠].

---

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٤٨. ابن دقماق، الانتصار، ج٢، ص ٤٢. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص ٣٤٧، ٣٤٨. المقريزي، خطط، ج١، ص٢٤. وأنظر ابن شاهين، زبدة كشف، ص ٢٢. السيوطي، حسن المحاضرة ، ج١، ص ٢٥.

(٢) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٤٨. الوطواط، مباهج، ص ٧٣. العمري، التعريف، ص ٢٤٨. ابن دقماق، الانتصار، ج٢، ص ٤٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص ٦٦. وانظر أيضا المقريزي، خطط، ج١، ص ٢٤. وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٢٥. ابن اياس، بدائع، ج١، ق ١، ص ١٢.

(٣) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٦.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج ٢، ص ٣٥. الخالدي المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٦) عامر نجيب، الحياة الزراعية في مصر، ص ٤٦.

(٧) ن.م. ص٤٦.

(٨) عبد الفتاح وهيبة، جغرافية مصر، ص ٦٤. سيد مرعي، الزراعة المصرية، ص ١٢ حيث يقول ان كمية الطمي التي يحملها النهر في موسم الفيضان سنويا تقدر بـ ٢٥ مليون طن.

(٩)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٧. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ. ابن إياس، بدائع، ج١، ق ١، ص ١٢.

(١٠) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ. ابن اياس، بدائع، ج١، ق ١، ص ١٢.

ومناخ الوجه البحري بشكل عام دافئ شتاءً ومعتدل "صيفاً"[١]، إذ إن معدل درجة الحرارة فيه صيفاً يتراوح بين ٢٣ و ٢٧ درجة مئوية، وفي الشتاء ما بين ١٣ الى ١٤ درجة مئوية[٢]، وتختلف كميات الأمطار الساقطة عليه من جهة الى أخرى[٣]، وتقل كلما اتجهنا الى الجنوب، إذ يبلغ المعدل السنوي لسقوط الأمطار على منطقة الساحل حوالي ١٣٠ملم، وينخفض باتجاه الداخل حتى يصل الى ٢٧ ملم في وسط الدلتا[٤].

(ب)التقسيم الإداري للوجه البحري

كانت مصر قبل الفتح العربي تنقسم إداريا إلى قسمين: أحدهما الوجه البحري، والآخر الوجه القبلي[٥]. وهذا ما استقرت عليه مصر لفترة طويلة[٦].يقول المقريزي(ت ٨٤٦هـ):" ثم استقرت أرض مصر كلها في الجملة على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب، والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر"[٧].

وقد أطلق العرب على البلاد الواقعة شرقي الدلتا وغربيها: (الحوف)[٨]، فقالوا: الحوف الشرقي لما وقع شرقي فرع دمياط، والحوف الغربي لما وقع غربي فرع رشيد[٩]. وأطلقوا على البلاد الواقعة بين فرعي النيل "بطن الريف"، دلالة على موضع الزرع والشجر[١٠].ثم قسموا الوجه

---

(١) محمد إبراهيم حسن، جغرافية مصر، ص ٢٧. سيد مرعي، الزراعة المصرية ص ٣٤.

(٢) ن.م، ص ٣٣.

(٣) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ١٨.

(٤) سيد مرعي، الزراعة المصرية، ص ٣٣، ٣٤.

(٥) المقريزي، خطط، ج ١، ص ١١٦.

(٦) ن.م، ج١، ص١١٦. ابن اياس، بدائع، ج ١، ق ١، ص ١٨.

(٧) المقريزي، خطط ج ١، ص ١١٦.

(٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص ٤٣٨-٤٤١. المقريزي، خطط، ج١، ص ١١٦-١١٧. محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ق٢، ج٢، ص ٥. والحوف كلمة عربية معناها الجانب والحافة، انظر ابن منظور، لسان العرب، (مادة حوف).

(٩) ابن دقماق، الانتصار، ج٢، ص ٢٤٢. القلقشندي، صبح الاعشى،ج٣،ص٤٣٨-٤٤١. المقريزي، خطط، ج١،ص١١٦،١١٧. محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ق ٢، ج٢، ص ٥.

(١٠) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص ٤٣٨.

البحري إلى مجموعة من الوحدات الإدارية، أطلقوا على الواحدة منها اسم الكورة[١] ، وتشمل كل كورة عددا من القرى، وتعد كل كورة وحدة إدارية ومالية[٢]. وكانت هذه الوحدات تزيد وتنقص تبعا للتغيرات الإدارية التي تقتضيها حاجة الدولة ونظامها الإداري[٣] .

وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، أعاد العرب التنظيم الإداري للوجه البحري، وقسموه إلى ثلاثة أقاليم كبرى، تضم ستا وأربعين كورة[٤]، هي الحوف الشرقي وقاعدته مدينة بلبيس ويتكون من إحدى عشرة كورة، وبطن الريف ويتكون من عشرين كورة، والحوف الغربي ويتكون من خمس عشرة كورة[٥].

وفي العصر الفاطمي أعيد تقسيم البلاد، ليضم الوجه البحري اثنتي عشرة كورة[٦]، واستمر هذا التقسيم حتى أواخر القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ففي سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) أمر السلطان حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٩م) بإراكة[٧]، الأراضي المصرية، وهو ما عرف بـ"الروك الحسامي"[٨]، الذي جرى العمل بموجبه حتى أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) إذ أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) سنة (٧١٥هـ/١٣١٦م) مرسومه بالروك، وهو ما سمي بالروك الناصري[٩]، وبموجبه تحدد الوجه البحري بستة أعمال[١٠] كانت على النحو الآتي:

---

(١) انظر الوطواط، مباهج، ص ٧٦. وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣٩. حياة ناصر الحجي، التقسيم الإداري لمصر زمن المماليك، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م ١٠،ع ٣٨، ص ٩.

(٢) الوطواط، مباهج، ص٧٦. عامر نجيب، الحياة الزراعية في مصر، ص ٤٥.

(٣) حسين مؤنس،أطلس تاريخ العالم الإسلامي، ص ٣٢٢. عامر نجيب، الحياة الزراعية في مصر، ص ٤٥.

(٤) البكري، الممالك والمسالك، ص ١٨. حسين مؤنس، أطلس تاريخ العالم الاسلامي، ص ٣٢٣. عبدالفتاح وهيبه، جغرافية مصر، ص ١٢٤.

(٥) البكري، الممالك والمسالك، ص ١٨. المقريزي، خطط،ج١، ص ١١٦، ١١٧.

(٦) البكري، الممالك والمسالك، ص ١٩. حسين مؤنس، أطلس تاريخ العالم الاسلامي، ص ٣٢٣.

(٧) الروك: لفظ جرى في مصطلح الادارة المالية في مصر زمن المماليك، للدلالة على عملية قياس الأراضي ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها. طرخان، النظم، ص٩٥-٩٦.

(٨) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٨٩.

(٩) ن.م. ج٢، ص ٥٠٤-٥٠٥.

(١٠)المقريزي، خطط، ج ١، ص ١١٨.

١-عمل البحيرة: يمتد هذا العمل في المنطقة الواقعة بين فرع رشيد وعقبة برقة غربا[١]، ومن الجيزة في الجنوب الى سواحل البحر الرومي شمالا[٢]. ويشتمل هذا العمل على بر مقفر[٣] متصل بالاسكندرية الى العقبة الكبرى من برقة[٤]، ويصفه القلقشندي "بالعمل الواسع الكثير القرى"[٥]. وأغلب سكانه من القبائل العربية[٦]، ومقره مدينة دمنهور[٧] التي أصبحت مقرا لنائب البحيرة، بعدما حصنت بالأسوار إثر حركة بدر بن سلام سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)[٨].

٢-عمل الشرقية: وهو أكبر الأعمال في الوجه البحري، ويصفه القلقشندي " أنه من أعظم أعمال الوجه البحري وأوسعها"[٩]، ويمتد شرق فرع دمياط محاذيا ضواحي القاهرة والقليوبية حتى يتصل بالصحراء الشرقية[١٠]. وتتصل حدوده من الشمال بالبحر الرومي وحتى تصل قطيا، وهي مدينة حدودية تستوفى فيها الضرائب من المسافرين والقادمين[١١]، جاء في التعريف: "وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم، ومنها يطالع بكل وارد وصادر"[١٢].

وعلى الرغم من اتساع هذا العمل، إلا أنه يعرف بقلة مزروعاته وبساتينه، نظرا لإتصاله بالسباخ، "ولبداوة غالب أهله"[١٣].

---

(١) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٦أ.

(٢) ن.م. ص ٨٦أ.

(٣) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، أيمن فؤاد، ج٢، ص ٩٧. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١١٨.

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٣ ، ص ٣٦٢.

(٦) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٦أ.

(٧)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٢. السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣٠.

(٨) انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٩٤، ٩٥، ١٠١ . انظر ابن حجر، انباء، ج٢ ، ص ٨.

(٩)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٩.

(١٠)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٩.

(١١)القلقشندي، صبح الأعشى ج٣، ص ٤٦٠. الخالدي ، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(١٢) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١.

(١٣)القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٩.

ومن المدن المهمة في هذا العمل : مدينة بلبيس قصبة عمل الشرقية، وبنـــــها العســل، وقطيا، والصالحية آخر العمران من جهة الشمال[١].

٣-عمل الغربية: يقع هذا العمل بين فرعي رشيد ودمياط، ويمتد شمالاً حــتى يتصل بـــالبحر الرومي[٢]، وتحده المنوفية من الجنوب، كما قال المقريزي: "وهو مصاقــب للمنوفية من جهــة الشمال"[٣]. ويضم هذا العمل كلا من جزيرة قويــسنية، والدنجــاوية، والســـمنودية[٤]، حيــث كانت هذه أعمالاً منفردة ثم ضمت للغربية[٥]، وذكر الخالدي (القرن التاسع الهجري) أن "عمــل الغربية لم يكن في الأعمال أوسع منه ولا أكبر بلاداً أو مدناً، يشمل قريباً من سبعمائة بلـــد"[٦]، ومقره مدينة المحلة[٧] وتعرف بالمحلة الكبرى[٨].

٤-عمل المنوفية: ينحصر هذا العمل بين فرعي النيل عند انقسامهما[٩]، ويبتديء مـــن مدينــة شطنوف على الضفة الغربية من النيل[١٠]، ويمتد شمالاً فيضم عمل أبيار وجزيرة بني نصر بعد دمجهما بعمل المنوفية زمن السلطان برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)[١١]. ويحده عمل الغربية من الشمال والشمال الشرقي، ومقره مدينة منوف[١٢].

٥-عمل القليوبية: يقع هذا العمل على الجهة الشرقية من نهر النيل، وفرع دمياط[١٣]،ويحده من الجنوب ضواحي القاهرة، ومن الشرق اقليم الشرقية[١٤].

---

(١)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك ، ج٢ ، ص ٩٧. القلقشندي، صبح الأعشـــى، ج٣، ص ٤٦٥. المقريـــزي، خطط، ج١، ص ١١٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٥. الخالدي، المقصد الرفيع ، ص ٨٥أ.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٦.

(٥) ن.م، ج٣، ص ٤٦٦.

(٦) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٦أ.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٦. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣ ص ٤٦٦ . وانظر الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٩) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥٠.

(١٠)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٥.

(١١) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(١٢)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٥.

(١٣) انظر الخريطة

(١٤)ابن فضل الله العمري،مسالك، أيمن فؤاد، ج٢،ص ٩٧، ٩٨. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٧.

ويعد هذا العمل من الأعمال المستحدثة بالروك الناصري سنة (٧١٥هـ/١٣١٦م) (في عهد الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م)) بعد فصله عن عمل الشرقية[١]، ومقره مدينة قليوب إلى الشمال من مدينة القاهرة[٢]. ووصف القلقشندي هذا العمل بـ"الجليل حسن القرى كثير البساتين، غزير الفواكه"[٣].

٦-**عمل الدقهلية والمرتاحية**: يقع هذا العمل شمال الشرقية، ويمتد باتجاه الشمال إلى سواحل البحر الرومي عند مدينة دمياط، وحتى مدينة الطينة[٤]، حيث تنتهي حدوده الشمالية بالسباخ وبحيرة تنيس المتصلة بالطينة على طريق الشام[٥]. ويحده فرع دمياط من الغرب، وتنتهي حدوده بعمل الشرقية جنوبا[٦]. ويطلق على هذا العمل اسم أشموم الرمان، تعبيرا عن كثرة أشجار الرمان فيه[٧]، ومقره "أشموم"[٨]، وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرقة التي تذهب الى بحيرة تنيس من فرع دمياط[٩].

ويضاف إلى هذه الأعمال الستة التي استقر عليها الوجه البحري طوال فترة الدولة المملوكية الثانية[١٠] مدن كبيرة ولكن لم يكن لأي منها عمل خاص بها كثغر دمياط، ومدينة الإسكندرية[١١] التي عدت من الثغور، ولا تتسع لعمل خاص بها، لقلة عدد القرى التي تتبعها[١٢].

---

(١) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ ، محمود السيد، تاريخ القبائل، ص ٥٧.

(٢)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٧. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٣)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣ ، ص ٤٥٧.

(٤)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٠.

(٥)القلقشندي، صبح الأعشى ج٣، ص ٤٦٠، وانظر الخالدي، المقصد الرفيع، ص ٨٥أ.

(٦) انظر الخريطة

(٧) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥٠.

(٨)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٠ "أشموم" وفي خطط المقريزي، ج١، ص ١١٨ "اشموم طناح".

(٩)القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣ ، ص ٤٦١.

(١٠) المقريزي، الخطط، ج١، ص ١١٨.

(١١)ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١. المقريزي، الخطط ج١، ص ١١٨.

(١٢) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١.

أ - بنو سعد:

ذكر القلقشندي نقلاً عن الحمداني أنه :" اجتمع بمصر خمسة سعود من جذام"، اختلطوا ببعضهم[١]، وهم: بنو سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وبنو سعد بن مالك بن زيد بن افصي بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام وله ينتسب أكثر السعديين[٢]، وبنو سعد بن مالك بن حرام بن جذام، وبنو سعد بن أبامة بن عبيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام، وبنو سعد بن مالك بن افصي بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام[٣] "وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها، ولهم مزارع ومآكل وفسادهم كثير وفيهم عشائر كثيرة"[٤].

ومن بني سعد: شاس، وجوشن، وعلان، "وفزارة بني سعد"، وديارهم من تل طنبول الى نوب طريف، ومنهم في "دقدوس" "ودمريط"[٥] و "وبرهمتوش"[٦] ولهم "منية غمر" وأريافها[٧].

ذكر العمري أن ديار بني سعد تمتد من ضواحي القاهرة الى أطراف الشرقية[٨]. ومن مقدمي بني سعد أولاد فضل والسلاحمة سكان منية غمر وزفيتة[٩]، ومنهم بنو شاور[١٠] كبار منية غمر وخفراؤها"[١١].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦. المقريزي ، البيان، ص ٢١.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦. المقريزي، البيان، ص ٢٠.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك ١٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦. المقريزي، البيان، ص ٢١.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. القلقشندي ، قلائد، ص ٦٣.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك ١٧٥. القلقشندي، قلائد، ص ٦٣.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٥. وانظر القلقشندي، قلائد، ص ٦٣. المقريزي، البيان، ص ٢١.

(٧)القلقشندي، صح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦. المقريزي، البيان، ص ٢١.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٥. القلقشندي ، قلائد، ص ٦٣.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ٦٣.

(١٠) بنو شاور ينتسبون لشاور وزير الخليفة العضدي اخر خلفاء الفاطميين بمصر، انظر ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤ ، والقلقشندي، قلائد، ص ٦٣.

(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. القلقشندي ، قلائد، ص ٦٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٨٦، المقريزي ، البيان، ص ٢١.

ومن بني سعد: بنو عبد الظاهر: وهم كُتّاب ديوان الإنشاء زمن العمري[(١)].

ب- بنو زيد بن حرام بن جذام: ومنازلهم في بلاد الشرقية في عمل بلبيس[(٢)]، ويتفرع عن هذا الفرع من جذام خمسة فصائل هم: سويد وبعجة ونائل ورفاعة وبردعة.

١/ب: بنو سَوِيْد

* **بنو هلبا بن سَوِيْد**[(٣)] : ومنهم العطيويون، والحميديون، والجابريون، والغتاورة الذين يقال لهم أولاد طواح المكوس[(٤)]، والأُخَيْوَة أولاد حمدان ورومان وحمران وأسود[(٥)]. ومن هلبا سويد أولاد راشد[(٦)]، والبراجسة، وأولاد يبرين، والجواشنة، والعكوك، وأولاد غانم وآل حمود، والزرقان، والأساورة، والحماريون، والحراقيص، والحنافيش، وأولاد غالي، وأولاد جوال، وآل دعيج، وآل زيد[(٧)]. ومنازلهم فاقوس وما حولها[(٨)].

* **هلبا بن مالك بن سَوِيْد**[(٩)]: ومنهم الحسنيون، والغوارنة، وبنو أسير بن عبيد بن مالك بن سويد، ومنهم العقيليون أصحاب الأمرة في هلبا مالك، وكان أميرهم في القرن التاسع الهجري، نجم بن ابراهيم الذي امتدت الإمرة من بعده في اولاده[(١٠)]، وأبو راشد بن نجم، ودِحية، وثابت الذين أُمّروا بالبوق والعلم[(١١)].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٥. القلقشندي، قلائد، ص ٦٣.

(٢)القلقشندي، قلائد، ص ٥٧.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٠. القلقشندي، نهاية الارب، ص ٤٣٧. القلقشندي، قلائد، ص ٥٨.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٥٨. المقريزي، البيان، ص ١٧.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٥٨

(٦) المقريزي، البيان ص ١٦.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٥٨. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٤. وانظر عن بطون هلبا سويد، القلقشندي، نهاية الارب، ص ٩٩، ١١٥، ١١٦، ١٤٧، ١٥٤، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ٤٣٧.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٩. القلقشندي، قلائد، ص ٥٨. المقريزي، البيان، ص ٢٣.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٠. القلقشندي، قلائد، ص ٥٩.

(١٠) المقريزي، البيان، ص ٢٣.

(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٠. القلقشندي، قلائد، ص ٥٩، القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٤٨. المقريزي، البيان، ص ٢٣.

ومن بطون هلبا مالك: اللبديون، والبكريون، وأولاد الهويرية، والرذاليون، المعروفون بِحلف بني الوليد[١].

ومن بني مالك بن سويد بنو رديني منهم أولاد جياش بن عمران أصحاب تل محمد[٢].

ومنهم بنو عبيد بن مالك بن سويد، ومنازلهم بـ"الحوف" من الشرقية ولهم موضع من حقوق هربيط يعرف بالأحراز[٣]، وكانت الإمرة فيهم في بني بقر[٤]. وبنو عبيد هؤلاء غير بني عبيد من سنبس بالغربية[٥].

***بنو الوليد بن مالك بن سويد:** ذكر القلقشندي عن الحمداني أن من ولد الوليد بن سويد "طريف بن مكنون" الملقب بزين الدولة والذي به تعرف نوب طريف من بلاد الشرقية[٦] وكان أحد الكرام من كبار الأمراء الجذاميين في مصر "وكان في مضيفته أيام الغلاء أثنا عشر الفاً يأكلون عنده كل يوم وكان يهشم الثريد في المراكب"[٧]، ومن أولاد طريف: فضل الله بن شمخ بن كمونه وابراهيم بن عالي، أُمّر كل منهما بالبوق والعلم[٨] .

ومن بني الوليد: الحيادرة، وهم طائفة كبيرة[٩]، منهم بنو عمارة بن الوليد ومنازلهم البرمون[١٠]. ومنهم الحيبون ، وهم بنو حية بن راشد بن الوليد ، وأولاد منازل وكان منهم معبد

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٠. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. وانظر بطون هلبا مالك، القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٢٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٥٧، ٢٩٩.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. وذكر في صبح الأعشى ،ج١، ص ٣٨٥. ان بنو رديني من العقيليون.

(٣) المقريزي، البيان، ص٢٦.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٤١.

(٥) ن.م، ص٣٤١.

(٦)القلقشندي، قلائد ، ص ٦٠.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. المقريزي، البيان، ص ١٥.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٥. المقريزي، البيان، ص ١٥.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ٦٠. القلقشندي، صبح الأعشى ، ج١، ص ٣٨٥.

(١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. وتعرف بالبرمونين، انظر القلقشندي، قلائد، ص ٦٠، والمقريزي، البيان، ص ٢٤.

بن منازل أمر ببوق وعلم[١]، وأقطع منى بني خثعم[٢]، وقيل أنه اقتنى عددا من المماليك الأتراك والروم، وكانت له مكانة عند الصالح نجم الدين أيوب، وارتفعت منزلتـه في سلطنة المعـز أيـبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)[٣]، وخلفه بالإمرة أولاده سلمى ودغش[٤].

٢/ب هلبا بن بعجـة: هم بنو هلبا بن بعجة بن زيد بن سويد[٥]، منهم الذواهبة والجـوازرة والنجاد والغياث وبنو منصور والعبسة وبنو قبيصة[٦]. ومن بعجة الجواشنة بنو جوشـن بـن منظور صاحب السراة[*] المضروب به المثل في الكرم والشجاعة[٧]، ومنهم الغوتية الذين كـانوا في عداد رداد بن بعجة[٨]،

٣/ب نـاتـل: ومن أولاده، مهنا بن علوان الذي ضرب به المثل بالكرم والشجاعة. قيـل أن ضيوفا طرقته في شتاء ولم يكن عنده حطب يوقده لطعامهم، فأوقد أحمالا من بر كانت عنده، وله "كفر برسوط بنواحي مرصفا من الشرقية"[٩].

أما الفرعان الآخران من زيد بن حرام (بردعة ورفاعة) فإنهم في الغالب اندمجوا فـي أخوتهم الثلاثة المقدم ذكرهم[١٠]. وذكر المقريزي أن أمراء بني بعجة هم مـن أولاد بقـر بـن نجم[١١].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. القلقشندي، نهاية الارب، ص ١١٧. والبوق والعلم يعني الامير المقدم الذي يعقد له علم، ويضرب له البوق، وله عدد من الجند ما بين ٧٠ الـى ٢٠٠ فارس، انظر المقريزي، اتعاض الحنفاء، ج٣، ص ٣٢٧.

(٢) المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٥٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٥. المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٥٩. نهاية الارب، ص ٤٣٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٥. المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠.

(٦) المقريزي، البيان، ص ١٧.

(*) عن السراة: انظر ياقوت، معجم، م٣، ص٢٠٤.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد ، ص ٦١.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٦١.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، قلائد، ص ٦١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦.

(١٠) القلقشندي، قلائد، ص ٦١. وذكرهم في نهاية الأرب، ص ١٧٥، بالحوف بالشرقية.

(١١) المقريزي، البيان، ص ١٧.

ج-بنـــو مَجْرَيـــه، وهم بنو حرام بن جذام، أخو زيد بن حرام[١]، ومنهم الشـــواكرة[٢]، أولاد شاكر بن راشد بن عقبة أصحاب شنبارة بني خصيب[٣]، ومن الشـــواكرة أولاد العجــار أدلاء الحاج من زمن صلاح الدين الايوبي حتى زمن العمري[٤].

د- بنـــو صبـــرة: وهم بنو صبرة بن نصرة بن غطفان من بني سعد بن حرام بـــن جــذام[٥] سكان بركة الحاج وأصحاب دركها[٦]. ويبدو أن بني صبرة كانوا يتولـــون الحراســـة وتـــأمين الركب في هذه المنطقة[٧].

هـ- العـــايـــذ[٨]: وهم بطن من جذام[٩]، ينسبون الى عايذ الله، وقيل الى عايذة إحدى بطون جذام[١٠]. والعايذ كثيرون في العرب، والمشهور منهم في مصر عايذ جذام[١١]، الذيـــن ســـكنوا المناطق الوسطى من الشرقية في هربيط ، وتل بسطة ، ونوب، وأم رماد[١٢]، ويبدو أنهم انتقلوا منها الى الأطراف الشرقية من اقليم الشرقية، فيما بين بلبيس وعقبة أيلة[١٣].

---

(١) ذكرهم ابن فضل الله العمري، "مَخرَيّة"، مسالك، ص ١٧٣، القلقشندي، قلائد، ص ٦١.

(٢)القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٤٠، ٣٠٢.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٣. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٤٠. المقريزي، البيان ص ٢٦.

(٤)ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٣. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. القلقشندي، نهايـــة الأرب، ص ١٤٠. المقريزي، البيان، ص ٢٦.

(٥) المقريزي، البيان، ص ٢١، ٦٢. وقال الجزيري انهم "قوم من العرب من لخم". انظر الجزيري، الدرر، ج ٢، ص ١٣١٢.

(٦) المقريزي، البيان، ص ٢٢.

(٧) ن.م ، ص ٢٣. المقريزي، السلوك، ج٤، ص٧٧. الجزيري، الدرر، ج ٢، ص ١٣١٢.

(٨) ذكرهم في المسالك بـــ العائذ، انظر ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٥، وكذلك القلقشندي، القلائـــد، ص ٦٤. ويذكرهم المقريزي، بـــ العايد، انظر البيان، ص ١٩.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٥. القلقشندي، قلائد، ص ٦٤. القلقشندي، نهاية الارب، ص ٣٣٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦ المقريزي، البيان، ص ١٩. السويدي، سبائك، ص ٢٠٣.

(١٠) المقريزي، البيان، ص ١٩.

(١١) ذكر العمري أن عائذ فرير ادعوا في ثعلبة لما تنافرت مع جذام، مسالك الابصار، ص ١٧٥.

(١٢)القلقشندي، قلائد، ص ٥٨.

(١٣)القلقشندي، قلائد، ص ٦٥. القلقشـــندي، نهايـــة الأرب، ص ٣٣٣. الصـــيرفي، نزهـــة، ج١، ص ١٣١. المقريزي، البيان، ص ١٩.

وكان العايذ يقومون بحراسة درك[١] الحاج، وتأمين الطريق في المنطقة الواقعة بين بلبيس وعقبة أيلة. قال الجزيري (القرن العاشر الهجري): "ودرك هذه الاماكن في الحجيج حتى تصل العقبة عليهم"[٢].

ويبدو أن العايذ استقروا في المناطق التي ذكرنا، حيث كان عليهم دركها في أواخر القرن العاشر الهجري، إذ يذكر الجزيري أن درك العايذ من أول صحراء القاهرة الى العقبة[٣]. وفي أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)،وبسبب تكاثر بني عطية في منطقة النقب وبالتالي سيطرتهم عليه، اتُفِق أن يقوم أمير العايذ، صاحب الدرك، بدفع مقررٍ من المال لبني عطية لقاء توليهم حماية الدرك في منطقة النقب[٤]، واعتبار منطقة نخل[٥] آخر حدود العايذ، "فان أمير الحاج من نخل يُلبسُ أمير العايذ تشريفاً ويعود بجماعته وخيله منها الى القاهرة"[٦]. وذكر إميدييه -أحد مؤرخي الحملة الفرنسية- تواجد عربان العايذ في الشرقية قرب المنشية والتل، وفي ضواحي القاهرة من جهة الشرق[٧] الأمر الذي يدل على استمرار بقائهم

---

(١) الدرك: حماية الأطراف أو الثغور في الدولة، وتعني المساهمة في الحرب وحماية الأمن الداخلي، طرخان، النظم، ص٤٨٢ .

(٢)القلقشندي،صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦، القلقشندي، قلائد، ص ٦٥. المقريزي، البيان، ص ٧٢، الجزيري، الدرر، ج٢، ص ١٣١١.

(٣) الجزيري، الدرر، ج٢، ص ١٣١٣.

(٤) ن.م. ج٢، ص ١٣١٤.

(٥) قرية في قلب جزيرة سيناء، وفيها قلعة بناها السلطان الغوري، وتبعد ٧٠ميلاً من مدينة العقبة، نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص ١٥٠.

(٦)الجزيري، الدرر، ج٢، ص ١٣١٤.

(٧) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ٣٨٠. وذكر أميديه أن عدد فرسانهم ١٠٠٠ فارس. وأنهم كانوا مجاورين لعرب القلازين والجبارات والعمارين، انظر وصف مصر، ج٢، ص ٣٨٢.

هناك حتى زمن الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨. وذكر نعوم شقير أن العايذ الآن[١] من سكان مديرية الشرقية في جهة بلبيس، وقال إنهم تحضروا وتركوا البادية[٢].

والعايذ قسمان: الأول عايذ الشرقية، ومنهم الحماصية، والجبارات، والسمارات، والعقبات، والشويحات، والطرازنة، والعتاريف، والشرفا، والفواتيل، والنعايم، والضواعنة[٣]. والقسم الثاني عربان الطور: وهم بدنتان: العليقات، وعربان الصوالحة[٤].

كانت الإمرة في العايذ في بني عيسى، والقائم بالامرة فيهم عيسى بن سيف[٥]، وفي أولاد شعبان، ورسم المكاتبه لأمرائهم "أمير عربان جذام، أو أمير عربان العايذ بالشرقية"[٦]. ويذكر الخالدي أن مشايخ الوجه البحري لا ضابط لهم، يزيدون أو ينقصون ويقيمون ويرحلون، وأجل ما كتب لهم "يعلم مجلس الامير"[٧].

ومن أبرز أمراء العايذ محمد بن عيسى العايذي الذي يرجع اليه فضل في إعادة السلطان شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) الى الحكم[٨]، واستمرت أمارته الى زمن الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)[٩]، حيث تولى كشف الشرقية وولايتها سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) عوضاً عن قطلوبغا التركماني[١٠]. وله سفارات بين السلطان برقوق وبعض الامراء المنشقين[١١]، وشاركه في الأمرة أولاد شعبان بن محمد بن عيسى العايذي منذ سنة

---

(١) يعني مطلع القرن العشرين، ويذكر نعوم شقير، أن هناك خط يدعى خط العايذ إلى اليوم، أنظر نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص ١٠٨.

(٢) نعوم شفير، تاريخ سيناء، ص ١٠٨.

(٣) الجزيري، الدرر، ج٢، ص ١١٨٧، ١٨٨١.

(٤) ن.م، ج٢، ص ١٨٨١.

(٥) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ ب.

(٦) ن.م، ص ٢٣٦ أ.

(٧) ن.م.، ص ٢٣٦أ.

(٨) محمود السيد، تاريخ القبائل، ص ٥٤.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٧٦، ١٧٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٧٤.

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٧٦، ١٧٧. المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٢١٢. ابن حجر، إنبا، ج٢، ص ٢٩١.

(١١) المقريزي، السلوك ج ٥، ص ٢٨٢.

(٧٨٨هـ/١٣٨٦م)[١]، وشرف الدين موسى بن محمد العايذي الذي تغيّر عليه السلطان برقوق وسجنه في خزانة شمائل[٢] سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، وعلى أثر ذلك ثار عليه عربان الشرقية[٣].

ومن أمراء العايذ نجم بن هجل[٤]، وصيام العايذي أحد كبار أمراء العايذ سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م)[٥]، والذي استمرت الأمرة في بنيه حتى سنة (١٠٩٥هـ/١٦٩٢م)[٦]، مما يدل على استمرارهم في منازلهم حتى ذلك التاريخ.

و- **الزهور**: هم بنو زهير بن جذام[٧]، ذكر القلقشندي نقلاً عن الحمداني أن أكثرهم بالشام، والذين منهم بمصر أمتزجوا ببني زيد بن حرام بن جذام[٨]. ومنهم بنو عرين، وبنو شبيب، وبنو مالك، وبنو عبيد وبنو عبد القوي، وبنو شاكر، وبنو شما (غير شما ربيعة) وبنو حسن، والبصيلية، والمنيعية والسمارية والجواشنة[٩]. ومنازلهم بالحوف مما يلي اشموم الرمان[١٠]، الأمر الذي يدل على مدى انتشار جذام واختلاطها مع بقية قبائل العرب في الاعمال الاخرى. لكن نشاطاتهم وفعالياتهم في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وحتى منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، تدل على وجودهم في عمل الشرقية، إذ أشارت بعض المصادر التاريخية الى تمرد الزهور في سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) في الشرقية، وأن عصيانهم أمتد ليشمل كافة مناطق الريف في الشرقية، مما دفع السلطات في

---

(١) المقريزي، السلوك ج٥، ص ١٨٥. ابن تغري بردي، النجوم ج١٣، ص ٧٤. ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٣٧٠.

(٢) خزانة شمائل: سجن بجوار باب زويلة، انظر المقريزي، خطط، ج٣، ص٣٠٥.

(٣) انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٣٥٣، ٣٥٦.

(٤) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ١٠٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص ١٧٦. صبح الأعشى، ج٧، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٥)وثائق دير سانت كاثرين، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية. (وهي مصورة عن مكتبة الكونجرس). انظر، فيلم ١٦٨٧، وثيقة رقم ١٨٦.

(٦) وثائق دير سانت كاثرين، مركز الوثائق والمخوطات، فيلم رقم ١٦٨٧، وثيقة ٢٠٦. وجاء بها اسم الشيخ صقر بن المرحوم شيخ العرب منصور بن صيام العايذي كبير عربان العايذ في سنة ١٠٩٥هـ.

(٧) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٧٥. القلقشندي، قلائد، ص ٦٤.

(٨)القلقشندي، قلائد، ص ٦٤.

(٩)ن.م، ص ٦٤.

(١٠)ن.م، ص ٦٤.

القاهرة الى ارسال حملة كبيرة لإعادة الامن والاستقرار للإقليم[١].

وفي سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م)، وجد بعض الأمراء المماليك المنشقين عن السلطة، التأييد عند عرب الزهور في الشرقية حين التجأوا اليهم[٢].

(٢) **ثعلبة**: هم بنو ثعلبة بن سلامان ويرفع نسبهم الى طيء[٣]، كانت منازلهم بلاد غزة[٤]. وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، انتقلت طوائف منهم الى مصر ونزلوا بأطراف الشرقية[٥] في منطقة قطيا وما فوقها الى جهة الشام[٦].

ذكر كل من القلقشندي والمقريزي: أن ثعلبة مصر بطنان هما: دَرما، وزريق، أبناء عوف بن ثعلبة، أو أبناء ثعلبة لصلبه[٧]. ومن بطون دَرما في مصر: سلامه والاحمر وعمرو وقصير وأويس[٨]، وشبل والحنابلة والمراونة[٩] والحيانيون[١٠].

ومن بطون زريق: أشعث والبقعة[١١]، وبنو وهم، والطلحيون الذين منهم آل حجاج وآل عمران وآل حفصان والمصافحة أصحاب شقير بن جرجي الذي أُمّر بالبوق والعلم[١٢]. ومن

---

(١) انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٢٤٣، ٣٠٧. وانظر ابن حجر، إنباء، ج٢، ص ٣٩٢. وانظر الصيرفي، نزهة، ج١، ص ٢٣٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٢٧١.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٦. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٩٤. القلقشندي، قلائد، ص ٨٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥. المقريزي، البيان، ص ٣-٤.

(٤) القلقشندي، قلائد، ص ٨٥. القلقشندي، نهاية، ص ١٩٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥. المقريزي، البيان، ص ٥-٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ ، ص ٣٧٥. القلقشندي، قلائد، ص٨٤.

(٦) القلقشندي، قلائد، ص ٨٦. وجاء عند السويدي أن منازل ثعلبة بأطراف مصر مما يلي الشام، انظر السويدي، سبائك، ص ٢٣٥.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٦. القلقشندي، قلائد، ص ٨٥، وحول دَرما وزريق، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥، والقلقشندي، نهاية الارب، ص١٣١، ١٧٠ . وانظر المقريزي، البيان، ص ٤. وانظر السويدي، سبائك، ص ٢٥٣، ٢٧٤.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٦، القلقشندي، قلائد، ص ٨٥. المقريزي، البيان، ص ٤.

(٩) وهم غير مراونة بني أمية القرشيون، انظر القلقشندي ، نهاية الارب، ص ٨٥.

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥.

(١١) القلقشندي، قلائد، ص ٨٥.

(١٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٧. القلقشندي، قلائد، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١، المقريزي، البيان، ص ٤.

زريق الصبحيون، ومنهم: الغيوث، والزموت، والرويات، والنمور، والسعالي، والزمالي، والمعديون، والسنديون، والبحابحة[١].

ومن بطون زريق: العقيليون، والمساهرة، والمعافرة، ومنهم العليميون، كان مقدمهم عمرو بن عسيلة الذي أُمّر بالبوق والعلم[٢]. ومن العليميين القمعة، والرياحين، والغوفة[٣] ومنازلهم مع ثعلبة في مصر مما يلي الشام[٤]. أما البياضية والأخارسة ففي قطيا[٥]، وبني صدر في البدرية[٦].

وقد امتدح العمري رجال ثعلبة بقوله: "هم ذوو ذكر ونباهة خدموا الدول، وعقدوا الملوك وقاموا ونصروا"[٧]، كما يقول "لكني لم أرهم إلا غزاةً مجاهدين لهم آثارهم في الفرنج"[٨] الأمر الذي يدفع قول المقريزي بأنهم:" خدموا الفرنج وكانوا معهم يدا على المسلمين[٩].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك ص ١٧٧. القلقشندي، قلائد، ص ٨٦.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٧. القلقشندي، قلائد، ص ٨٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥، المقريزي، البيان، ص ٤.

(٣) ابن فضل العمري، مسالك، ص ١٧٧. القلقشندي، قلائد، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥.

(٤)القلقشندي، قلائد، ص ٨٦، ويذكر منازل ثعلبة ما فوق قطيا إلى جهة الشام.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨، ووردت عنده بـ الأحادسه. القلقشندي، قلائد، ص ٨٧، ويذكر أن الحمداني، لم يبين أنهم من ثعلبه أو من غيرها، غير أن المقريزي، يجعلهم من ثعلبه، أنظر البيان، ص ٦١، ٦٢.

(٦) القلقشندي، قلائد، ص ٨٧. المقريزي، البيان، ص ٦١، ٦٢. أما البدرية فهي طريق البر من الشام إلى مصر، ولبني صدر تنسب قلعة صدر.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٧. القلقشندي، قلائد، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٥.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٦.

(٩)القلقشندي، قلائد، ص ٨٤، القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٩٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ ، ص ٣٧٤. المقريزي، البيان، ص ٤، ٥.

أما إمرة ثعلبة فقد كانت في شُقير بن جرجي من المصافحة من بني زريق[١]، وفي عمر بن نفيلة من العليميين من بني زريق[٢].

(٣) بنــو وائــل: هم بنو وائل بن قاسط بن هنب، ويرفع نسبهم الى جديلة بــن أسـد بــن ربيعة[٣]، وهم من أوائل القبائل العربية التي نزلت في مصر ، إذ حضرت الفتح مع عمرو بــن العاص[٤]، وكانت خطتهم مع جذام[٥]، ثم نزلوا بالحوف من بلاد الشرقية[٦]، بجوار بني سعد بن حرام الجذاميين[٧].

وعلى الرغم من الفتن والحروب التي دارت بين بني سعد ووائل[٨]، فقد استمرت إقامتهم ببلاد الشرقية طيلة العصر الملوكي الثاني[٩]. وشارك ١٥٠٠ من فرسانهم في الجيش المملوكـي في سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) لصد غزوات تيمور لنك[١٠]. وطاردتهم حمـــلات الممـــاليك فـــي

---

(١)القلقشندي، قلائد، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ، ص ٧١. المقريزي، البيان، ص ٤.

(٢)القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٧١. القلقشندي، قلائد ، ص ٨٦. وجاء عند المقريزي في البيان، ص٤ (عمرو بن عسيلة).

(٣)القلقشندي، قلائد، ص ١٣٠. القلقشندي، نهاية الارب، ص ٤٤٦. عمر كحالة، معجم قبائل،ج٣، ص ١٢٤٤.

(٤) عبد الله البري، القبائل العربية، ص ٩٩،٢٠٠.

(٥) ابن دقماق، الانتصار، ص ٣.

(٦) عبد الله البري، القبائل العربية، ص ٩٩، ٢٠٠.

(٧)القلقشندي، القلائد، ص ١٣٠.

(٨) أشارت بعض المصادر لحروبهم في السـنوات ، ٨٠١، ٨٧٥، ٨٧٩، ٩٠٢. انظـر القلقشـندي، قلائـد، ص٦٣، ١٣٠. وانظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٧١. وانظر ابـن تغـري بـردي، النجـوم، ج١٣، ص٧٠. وانظر الصيرفي، نزهة، ج٣، ص٢٩٠-٢٩١. وانظر ابن إياس، بدائـع، ج٣، ص٦٠، ٧٠، ٧١، ١٠٥، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٦٤، ٣٧٥.

(٩) يتضح ذلك من خلال تمرداتهم ونشاطاتهم طيلة القرن التاسع وأوائـل القـرن العاشـر الـهجري، انظـر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٢٧١. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٧٠، ٧٤. وانظر الصـيرفي، نزهة، ج٣، ص ٢٩٠، والصيرفي ، إنباء، ص ٤٤٣. وانظر ابن ايــاس، بدائـع، ج١، ق١، ص ٥٠٩، وج١، ص ٨٠٧، وج٣، ص ٦٠، ٧٠، ٧١، ١٠٥، ٣٤٩، ٣٦٤، وج ٤، ص ١١٦.

(١٠) ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٦٢٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ١٩٩.

السنوات (٨٩٣هـ /١٤٨٧م) و (٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، لتحصيل الضرائب التي فرضتها الدولة في ذلك الوقت على المقطعين من بلاد الشرقية[١].

أما إمارة بني وائل فقد كانت في أحمد بن مهنا حتى سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م)، حيث أُعدم شنقاً في ربيع الأول سنة (٩١٣هـ/١٥٠٨م) مع عدد من أقاربه[٢].

وقد كانت الامرة في الشرقية في قبيلتي ثعلبة وجذام[٣] أما بالنسبة إلى الإمرة في جذام فقد كانت في خمسة بيوت[٤]:

الأول، بيت أبي رُشْد بن حبشي بن نجم بن ابراهيم من العقيليين (بني عقيل بن قرة بن موهوب من بني زيد بن حرام بن جذام)[٥].

الثاني، بيت بني الوليد، وكانت إمرتهم في طريف بن مكنون من بني الوليد بن سويد الذي ينسب إليه بنو طريف بالشرقية[٦].

الثالث، بيت أولاد منازل من ولد الوليد بن سويد وكان منهم معبد بن منازل الذي أُمرّ بالبوق والعلم[٧].

الرابع، بيت نمي بن خثعم من هلبا مالك[٨]. ذكر القلقشندي عن الحمداني أن نمي هذا إقتنى عدداً من المماليك الأتراك والروم، وبلغ من الملك الصالح نجم الدين أيوب منزلة، ثم حصل عند الملك المعز أيبك على الدرجات الرفيعة، وقدمه على عرب الديار المصرية، وخلفه بالإمرة إبناه سُلمي ودغش[٩].

---

(١) ابن اياس، بدائع، ج٣، ص ٢٥٣، ٢٦٩.

(٢) ن.م.، ج٤، ص ١١٦، ١٨٦.

(٣)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ، ص ٧١.

(٤)ن.م.، ج٤، ص ٧١.

(٥)ن.م.، ج٤، ص ٧١.

(٦)ن.م.، ج٤، ص ٧١.

(٧)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١. وانظر المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٨)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١. وانظر المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٩)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٥٩.

الخامس، بيت مفرج بن سالم بن راضي من هلبا بعجة، أمّرهُ المعز أيبك حين أُمّر سلمي بن خثعم[١].

ويذكر الخالدي[٢]، أن الامرة في جذام في الشرقية كانت في أولاد بقر، وأن القائم فيهم هو الأمير ركن الدين بيبسرس بن أحمد بن كمال الدين بقر بن خضر[٣]، وقال: " كان له من الملوك الاقبال والخلع والأطلسات بالحواقيص والاقطاعات، وعندهم حواصل الهجن السلطانية، وإقامتهم هربيط"[٤]، واستمرت الامرة في هذا البيت حتى أواخر العصر المملوكي، حيث كان أميرهم سنة (١٥١٢/٩١٨) بيبرس بن أحمد بن بقر الذي قابل السلطان طومان باي وخلع عليه بعد أن كان خارجا عن الطاعة[٥] .

أما ثعلبة، فقد كانت إمرتها في شقير بن جرجي من المصافحة من بني زريق، وفي عمر بن نفيلة من العليميين[٦].

ثانيا -عمل البحيرة: ومن القبائل التي نزلت هذا العمل :

١-**لبيد** : إحدى بطون سُليم[٧]، كانت منازلهم في أرض برقة[٨] وفيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى من برقة[٩]. وفي لبيد أفخاذ كثيرة ومتشعبة ، منهم أولاد حرام، وأولاد سلام، والبركات، والبشرة، والبلابيس، والجواشنة ، والحدادة، والحوثة، والدروع، والرفيعات، والزرازير، والسوالم، والسيوف، والشراعية، والصريرات، والعوالكة، والعلاونة، والموالك،

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١. القلقشندي، قلائد، ص٦١. المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٢) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ب ، ٢٣٦أ.

(٣) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ب، ٢٣٦ب. ويذكر الصيرفي أن من مشايخ الشرقية سنة ٨٧٥هـ عيسى بن بقر، وبقر بن راشد بن أحمد، الصيرفي، إنباء، ص ٢٨٩.

(٤) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ب، ٢٣٦أ.

(٥) ابن إياس، بدائع ج٤، ص ٢٧١.

(٦)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧١.

(٧)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥، ١٢٦. المقريزي، البيان، ص ٧٣.

(٨)القلقشندي، قلائد ، ص ١٢٥.

(٩) المقريزي، البيان، ص ٧١.

والسوالم، والسيوف، والشراعية، والصريرات، والعوالكة، والعلاونة، والموالـــك، والنــدوة، والنوافلة، والرعاقبة، وقطاب، والبواجنة، والقنائص، والقصاص[١].

ومن لبيد أولاد مقدم[٢]، ومنازلهم فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى[٣]، وأولاد سلام فيما بين العقبة الكبرى وبرقة[٤]. أما جماعة قايد بن مقدم فهم: زنارة ومزاتة وخفاجة وهوارة وسماك[٥]، وجماعة سلام هم فزارة ومحارب وقطـــاب والزعاقبـــة والجواشـــنة والبعاجنـــة والغبايص والقصاص وأولاد سلمان والعلاونة[٦] .

هجرت لبيد مساكنها خلال الربع الأول من القرن التاسع الهجري (الخـــامس عشـــر الميلادي)[٧] بسبب القحط الذي أصاب بلادها [٨] واتجهت نحو البحيرة على مراحل متبـــاعدة فيما بين سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) وسنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م). إذ تشير المعلومات لنزول لبيـــد اقليم البحيرة ومهاجمتها تروجة سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)[٩]، الأمر الذي دعى الســـلطات فـــي القاهرة الى إرسال حملة عسكرية لدفع "عربان" لبيد[١٠]، وفي السنوات (٨١٨هــــ/١٤١٥م و ٨١٩هـ/١٤١٦م) عادت لبيد وهاجمت الاقليم مرة أخرى، ودارت بينهم وبين أهل البحيرة

---

(١)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥-١٢٦. وانظر بطون لبيد عند السويدي، سبائك، ص ١٤١.

(٢) المقريزي، البيان، ص ٧١، ٧٣.

(٣) ن.م، ص ٧٣.

(٤) ن.م، ص ٧٣.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠، ١٨١.

(٦) ن.م.، ص ١٨٠، ١٨١.

(٧) عن محاولات هجرة لبيد للبحيرة منذ سنة ٨١٥ وحتى سنة ٨٤٢، انظر القلقشـــندي، قلائـــد، ص ١٢٦. وانظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٤٠، ٣٨٨، ٣٩٢. وانظر ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ٧٢، ١٩٢، ٢١٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٠. وانظر كذلك الصيرفي، نزهـــة، ج٢، ص ٣٤٨، ج٣، ص٣١٣.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ٢٨٤. ابن حجر، إنبا، ج٧، ص٧٢،١٩٢، ٢١٦. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٣١٣.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٢٤٠. ابن حجر، إنبا، ج٧، ص ٧٢.

(١٠) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٢٤٠. ابن حجر، إنبا، ج٧، ص ٧٢.

حروب، انهزم على أثرها أهل البحيرة الى الفيوم[1]. ويبدو أن السلطات المملوكية في القاهرة، كانت راغبة في إجلاء عرب البحيرة عن بلادهم واعطائها "لعربان" لبيد[2]، ويتضح ذلك من خلال الغزوات المتتالية التي قامت بها لبيد، وتدخل الدولة المحدود أو المراقب للوضع، حيث أشارت المعلومات الى قيام السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) بالسفر الى الاقليم سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) والاقامة به لمدة شهرين بسبب الخلافات بين لبيد وأهل البحيرة[3]. ويذكر القلقشندي أن السلطان المؤيد "أجلى عرب البحيرة من زنارة وغيرها عن بلادهم لتغير أدركه عليهم سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، واسكنها عرب لبيد، استدعاهم من بلادهم فأقاموا بها وعمروها وهم مقيمون بها الى الآن"[4].

كانت الإمرة في لبيد أيام الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠) لقايد بن مقدم، وخالد بن سليمان، من أولاد التركية من المقادمة[5]، ثم صارت زمن القلقشندي في أولاد عريف. وذكر القلقشندي أنه رأى عريفاً هذا في الإسكندرية بعد سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٩م) وهو على هيئة الزهاد، يحمل ابريقاً وعكازاً، والإمرة ما زالت في أولاده حتى سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م)[6]. أما أولاد التركية، فقد ضعف أمرهم ورحلوا إلى الجيزة وصارت إمرتهم في معنى المشيخة ولم يكن لهم إقطاع ولا عليهم تقادم[7]، والقائم فيهم شكر بن حماد بن محمد[8].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٦ ، ص ٣٩٢. ابن حجر، إنبا، ج٧، ص ١٥٠، ١٩٢، ٢١٦. الصيرفي، نزهة، ج٣ ص ٣١٣، و ج٢، ص ٣٤٨.

(٢)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٦.

(٣) حول حروب لبيد مع الدولة سنة ٨١٨، انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٩٢. وابن حجر، إنبا، ج ٧، ص ١٥٠، ١٩٢، وانظر الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٣٤٨.

(٤)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٦. أي في زمن القلقشندي الذي توفي سنة ٨٢١هـ.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠، القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥. القلقشندي نهاية الارب، ص ١٦٠. المقريزي، البيان، ص٧٣. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ب.

(٦)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥

(٧) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٥أ.

(٨) ن.م.، ص ١٤٥أ.

٢-هـــوارة: وهم من قبائل البربر المتعربة[١]، وذكر القلقشندي أنهم ينتسبون إلـــى عـــرب اليمن، وإن لم يتحقق من أي العرب هم[٢]. ومنذ أن هاجرت هوارة من بلاد المغرب، اختـــارت البحيرة منزلاً لها[٣]، حتى أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الملادي)[٤]، حيث أنزلـــهم الظاهر برقوق (٧٨٤- ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م) "اخميم" من بلاد الصعيد، بعد وقعة بـــدر الدين بن سلام سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)[٥]، في عـــهد المنصـــور علـــي بـــن شـــعبان (٧٧٨-٧٨٣هـ/١٣٧٧-١٣٨١م)[٦]. قال القلقشندي : "ولم تزل منازلهم بالبحيرة، الى أن غلبهم علـــى أماكنهم في البحيرة جيرانهم من زنارة وحلفاؤها من بقية عرب البحيرة، فخرجـــوا منـــها الـــى الصعيد"[٧].

وهوارة قبائل كثيرة، متشعبة ومتفرقة، اكثرهم في بلاد المغرب. ذكر القلقشـــندي عـــن الحمداني من بطونهم بنو مجريش، وبنو أسرات، وبنو قطران، وبنو كريب، وقال القلقشندي أنهم في زمانه في الصعيد، قد كثرت بطونهم وزادت على العدد، وذكر أن إمرتـــهم افـــترقت فـــي فرقتين: فرقة أولاد عمر بجرجا وما والاها، وفرقة بني غريب بدهروط والبهنساوية[٨].

٣-بنـــو عـــونـــة: هم على الأرجح من بلاد المغرب، انتقلوا الى البحيرة وأقاموا فيها[٩]، ثـــم تبعتهم أقوام من لواته ومزاته، فحدثت بينهم وبين بني عونة حـــروب انتـــهت بجـــلاء لواتـــه

---

(١) القلقشندي، قلائد، ص ٣٣ و ص ١٦٨. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤١٤-٤١٥.

(٢) القلقشندي، قلائد، ص ١٦٨. وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤١٥. وانظر المقريزي، البيـــان، ص ٥٧، ٥٨.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠.

(٤) القلقشندي، قلائد، ص ١٦٨، وانظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص ٥٣.

(٥) القلقشندي، قلائد، ص ١٦٨. المقريزي، البيان، ص ٥٨.

(٦) حول حركة بدر بن سلام في أواخر دولة المماليك البحرية (٧٨١-٧٨٢هـ) انظـــر ابـــن إيـــاس، بدائـــع الزهور، ج١، ص ٢٦٦. وانظر الصيرفي، نزهة، ج١، ص ١٥٩.

(٧)القلقشندي، قلائد، ص ١٦٨.

(٨) ن.م.، ص ١٦٩.

(٩) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٨.

ومزاته[١]، وكانت الصيحة التي أطلقها رجال بني عونة في حروبهم ضد لواته (عونة يا رجال) قال الجزيري ومن هذه الصيحة جاء اسمهم (بني عونة)[٢]. وقد استقرت قبائل بني عونة بـاقليم البحيرة، لكن على غير اطمئنان ممن يرد عليهم من طوائف العرب من بلاد المغرب[٣].وذكـر الجزيري: ان في عونة طوائف مختلفة، لكل طائفة شيخ مميز، وكانت امرتهم في القرن العاشـو الهجري (السادس عشر الميلادي)، في بيت اسماعيل الجويلي[٤]، ومقرهم "العطف" قرب "فـوة" بالبحيرة[٥] . وأميرهم جويلي بن سلمان الذي أنفرد بالزعامة على جمعهم، وكانت لـه حـروب ووقائع مع الدولة الجركسية[٦].

٤-عـرب غـزالة: ويعدون من أهل الجيزة[٧]، بالوجه القبلي، ويبدو أن أقواما منهم انتقلـوا الى البحيرة في مطلع القرن العاشر الهجري حيث يشير اليهم ابن إياس في حديثه عن عصيانهم سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، مما يؤكد وجودهم في البحيرة في ذلك الوقت[٨]، فقد ذكر أن لهم وقعة كبيرة مع المماليك الاتراك في "المعيصرة"، خسر على اثرها المماليك عددا كبيراً من جنودهـم، حتى طلبوا النجدة والنعوش من القاهرة[٩]. ويصف ابن إياس تلك الوقعة، بوقعة بدر بن سلام مع

---

(١)الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٨.

(٢) ن.م.، ج٣، ص ١٨٨٩.

(٣) ن.م.، ج٣، ص ١٨٨٩.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٣٨٩. ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ١٦. الجزيري، الـدرر الفرائـد، ج٣، ص١٨٨٥، ١٨٨٨.

(٥) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٦.

(٦) انظر ابن إياس، بدائع ج٣، ص ٣٩٨، وج٥، ص ١٩٥، ١٩٦. وانظر الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٩٠.

(٧) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ٩٠.

(٨) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٤١٤، ٤١٥.

(٩) ن.م. ج٣، ص ٤١٤، ٤١٥.

برقوق سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)[١]، ويبدو أن لهذه الوقعة تأثيراً سلبياً، انعكس على موقف عرب غزالة فيما بعد من المماليك ووقوفهم الى جانب العثمانيين[٢].

والذي يفيد باستمرار إقامة غزالة بالبحيرة، حركة عصيانهم فيها سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م) وقيام السلطات المملوكية بإرسال حملة عسكرية إلى البحيرة، لإخماد تلك الحركة[٣]. وكان من أبرز أعيان غزالة في تلك الفترة حماد بن خبير وأخوه سلام، الذين ناصبوا العداء للسلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م)، آخر سلاطين المماليك في مصر، بسبب مواقفه المعادية لهم قبل أن يتولى السلطنة سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م).[٤]

٥-لواتة: وهم من قبائل البربر المتعربة[٥]، ويذكر القلقشندي عن الحمداني أنهم يقولون أنهم من غطفان من قيس عيلان[٦]. وتعد لواتة من أكبر قبائل البربر واكثرها بطونا[٧]، واكثر بطون لواتة بالديار المصرية في الصعيد ، ومنهم طوائف كثيرة في البحيرة، وفي الغربية والمنوفية[٨]. وذكر المقريزي من بطونهم في البحيرة : بني مزديش، وبني صالح، وزمران ووردیغة، وغرهان، ولقان[٩]، وكانت منازلهم فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة من برقة، حتى منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، قبل أن تغلبهم عليها لبيد[١٠].

---

(١) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٤١٤، ٤١٥.

(٢) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩.

(٣) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٢٥٦.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ٢٢٤. ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ١٦، ٩١، ١٢١، ١٢٩، ١٦٩. وانظر ص ٨٧-٨٨ من هذا البحث.

(٥) محمود السيد، تاريخ القبائل، ص ٥٨.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٥. القلقشندي، قلائد، ص ١٧٢. القلقشندي نهاية الأرب، ص ١١٨. المقريزي، البيان، ص ٤٨، ٥٠. والسويدي، سبائك، ص ٤٢٨، ٤٣٨.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٧. القلقشندي ، قلائد، ص ١٧٢.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٧. القلقشندي، قلائد، ص ١٧٢. المقريزي، البيان، ص ٢٨.

(٩) القلقشندي ، قلائد، ص ١٧٥. المقريزي، البيان، ص ٥٦.

(١٠) القلقشندي، قلائد، ص ١٢٦، ويذكر أن خروجهم من البحيرة كان سنة ٨١٨هـ، بتدبير من السلطان المؤيد الذي أسكن لبيد مكانهم.

كانت الامرة في البحيرة في بني التركية من المقادمة حتى أواخر القرن الثامن الـهجري (الرابع عشر الميلادي)[١]، حين ضعف أمرهم ورحلوا عن البحيرة[٢]،ويشير الخالدي إلى ذلـك بقوله:" ثم انحطوا عن ذلك، ورحلوا عن البحيرة، وتوطنوا بأعمال الجيزة، ولم يكن لهم أقطـاع ولا عليهم تقادم، وصارت أمرتهم في معنى المشيخة، والقائم فيهم شكر بـن حمـاد مـن أولاد التركية"[٣].

أما مشايخ عربان البحيرة فهم على خمسة أخماس، لكل خمس بلاد معروفة[٤]. "ومفرد ما علـى عربان البحيرة من التقادم والضيافات والخانات على الاخماس"[٥] وكان الخمس الأول مقسـوما بين بني سعيد، والقائم فيه علي بن أحمد بن بدر، أما الخمس الثاني فهو لأولاد نمرين وشـيخهم ابن بدران واقامته "بطورس"، والخمس الثالث لبني عونة وهو مقسوم بين أولاد الشيخ جماعـة ابن رحاب، وبين بني عقلة جماعة ابراهيم بن سعدان. وكان الخمس الرابع للخوالدة، والقائم فيهم ابن عز الدين، اما الخمس الاخير فكان لبني سالم وشيخهم عبدالله بن يوسـف، واقامتـهم فـي تروجه[٦].

<u>ثالثا-عـمل المـنوفية</u>: ويتميز هذا العمل بموقعه الذي يشكل حلقة وصل بين أعمـال الوجـه البحري عامة، ونتيجة لقربه من البحيرة، التي ضمت أعـدادا كبـيرة مـن القبـائل البربريـة

---

(١)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥.

(٢) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ ب.

(٣)الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ ب. ويذكر القلقشندي أن إمرة البحيرة حتى أواخر عهده كانت فـي أولاد عريف، أنظر قلائد، ص ١٢٥.

(٤) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٥أ.

(٥) ن.م.، ص ١٤٥أ.

(٦) ن.م.، ص ١٤٥أ.

إلى إسرة ابن بغداد[1]، والقائم فيهم على زمن السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) الامير حجازي بن بغداد[2].

رابعا-عمل الغربية: ومن القبائل العربية التي نزلت فيه:

سنبس: وهم بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن الغوث بن طي[3]، ويقال لهم سنبس باسم أبيهم[4]. وسنبس أفخاذ وعشائر، ذكر منهم العمري والقلقشندي عن الحمداني ثلاثة أحياء هم: الخزاعلة، وبنو عبيد، وجموح[5]، وكانت الامرة فيهم في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، في بني يوسف من الخزاعلة[6]، واقامتهم في "سخا" من أعمال الغربية[7].

كانت منازل سنبس حتى منتصف القرن الخامس الهجري (٤٤٢هـ/١٠٥١م) في جنوب فلسطين حوالي غزة[8]. واستعان بهم الفاطميون في حروبهم مع بني قرة الذين انضموا الى الثائر الاموي الملقب "بأبي ركوة" سنة (٣٩٧هـ/٩٨٤م)[9] ، فنقلوهم من فلسطين سنة (٤٤٢هـ/١٠٥١م)، وأوطؤوهم ديار بني قرة في بلاد البحيرة[10]، حيث أقاموا فيها حتى قيام دولة المماليك البحرية، فلما أنف العرب قيام هذه الدولة وتملك عز الدين ايبك سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) "لأنه مملوك قد مسه الرق"[11]، اجتمعوا مع سائر العرب بزعامة حصن الدولة[12]،

---

(١) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ ب . الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص١٨٨٨.

(٢) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ١٦.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦، القلقشندي، قلائد، ص ٨٧. المقريزي، البيان، ص ٧. السويدي، سبائك، ص ٢١٨، ٢٤٩.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٦٥.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦. القلقشندي، قلائد، ص ٨٧.

(٦) القلقشندي، قلائد، ص ٨٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٤. القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٣١، ٢٦٥. وانظر السويد، سبائك، ص ٢٤٩.

(٧) القلقشندي، قلائد ص ٨٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٧٤. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٦٥. وقد أشار ابن فضل الله العمري لمنازلهم بدمياط انظر مسالك الأبصار، ص ١٥٦.

(٨) المقريزي، البيان، ص ٨.

(٩) عابدين، البيان والإعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبة، ص١١٦.

(١٠) المقريزي، البيان، ص ٨-٩.

(١١) ن.م.، ص ٩-١٠.

(١٢) ن.م.، ص ٣٨.

ودارت بينهم وبين المماليك الاتراك حروب انتهت بموقعة "دروط" سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)[١] حين قبض على الشريف حصن الدولة واصحابه، وقال المقريزي بعد هذه المعركة: "ذلت سنبس وصارت متفرقة بانحاء الغربية"[٢].

ومن بطون سنبس التي تفرقت في بلاد الغربية وذكرهم الحمداني: بنو رميح وهم بطن من الخزاعلة كانت منازلهم بناحية "درسة" من الغربية[٣]، وبنو عبيد[٤]، وبنو غار بنواحي "بطرة" من الغربية[٥]. ومنهم بنو عمرو، وعدي، وأبان، وجرم، ومحصب، وقِنة [٦]، والى قنة ينسب معالي بن فريج مقدم سنبس في البحيرة، وذكر المقريزي أن له جواراً ومروءة، وشجاعة، وقال أنه قُتل صبراً في دار الضيافة بالقاهرة[٧].

ويبدوا أن إقامة سنبس استمرت في الغربية حتى أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، حيث يذكرهم القلقشندي بالغربية في ناحية "سخا"[٨]، وكانت امرتهم في الخزاعلة في أولاد يوسف[٩]، والقائم فيهم حتى منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، جمال الدين عبد الله بن عثمان بن أحمد بن ناصر[١٠].

وذكر الخالدي أن رسم المكاتبة لأميرهم كان "يعلم مجلس الامير فلان بن يوسف أمير عربان السنابسة أو الخزاعلة"[١١]. وقال: "وأميرهم لاحق بأكابر الامراء في الخلع والاقطاع ولم يكن في الغربية إمرة إلا فيهم"[١٢].

---

(١) المقريزي، البيان، ص ٩-١٠.
(٢) ن.م.، ص ١٠.
(٣) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٥٦. السويدي، سبائك، ص ٢٤٩.
(٤) وهؤلاء غير بني عبيد احدى بطون زهير الذين نزلوا بالدقهلية، انظر القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٤٦.
(٥) القلقشندي، نهاية الارب، ص ٣٧٨.
(٦) المقريزي، البيان، ص ٧.
(٧) ن.م.، ص ٨.
(٨) القلقشندي، قلائد ص ٨٧. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ ب.
(٩) القلقشندي، قلائد ص ٨٧. الخالدي، المقصد الرفيع ، ص ١٤٤ ب.
(١٠) ن.م، ص ١٤٤ ب.
(١١) ن.م.، ص ١٤٤ ب.
(١٢) ن.م.، ص ١٤٤ ب.

وفي الغربية **كنانة خزيمة**(1)، ويعرفون بكنانة طلحة(2) وهم من بني خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر(3)، قَدِمت منهم طائفة للديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزيك(4)، ونزلوا دمياط وما حولها(5). **أما بنو عدي**، فقد نزلوا في البرلس(6) وذكر العمري أن وفدا منهم قدم على الفائز الفاطمي (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م) في وزارة طلائع بن رزيك، وكان مقدمهم خلف بن نصر العمري(7)، ووجدوا من ابن رزيك الاحترام، ونزلوا "بالبرلس" من أعمال الغربية(8)، وذكر العمري عن الحمداني أن طوائفهم لا تزال بجوار سنبس ومدلج وعذرة بالغربية حتى منتصف القرن الثامن الهجري(9).

ومن بطون قضاعة القحطانية في الغربية بنو عذرة(10) بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم الحافي بن قضاعة(11). وعذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق، منهم جميل بن عبد الله بن يعمر وصاحبته بثينة بنت حبي(12)، وعفراء صاحبة عروة(13). ويرى البري أن

---

(١) كنانة خزيمة غير كنانة عذرة في الدقهلية، انظر كنانة في اقليم الدقهلية ص٣٤ من هذا البحث. وانظر المقريزي، البيان، ص ٦٤.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٠٤. المقريزي، البيان، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٤. المقريزي، البيان، ص ٤٦، ٤٧.

(٤) وزير فاطمي بارز، اعتمد على قبائل العرب في مصر في تثبيت الحكم الفاطمي، انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص ٥٢٦-٥٢٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٠٤. القلقشندي، قلائد، ص ١٣٥.

(٦) مدينة على ساحل البحر المتوسط، أنظر الخريطة.

(٧) يذكر العمري أن خلف بن نصر العمري من عقب عمر بن الخطاب، انظر بن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦. القلقشندي، قلائد، ص ٣٩، ١٤٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٠٧.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦. القلقشندي ، قلائد، ص ١٣٥، ١٤٠.

(١٠) وهؤلاء غير كنانة عذرة بالدقهلية، ويذكر عبد الله البري، أن عذرة قدموا لمصر بصورة جماعية أو فردية خلال القرن الأول ونزلوا بدمياط وتنيس، عبد الله البري، القبائل العربية، ص ٢٣٨.

(١١)القلقشندي، قلائد، ص ٤٩.

(١٢)ن.م ، ص ٤٩. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٥٩.

(١٣)القلقشندي، قلائد، ص ٤٩. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٥٩.

منازلهم حتى أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، كانت بدمياط وتنيس[١]، ويبدو أنهم استقروا بمنازلهم بدمياط حيث لم تذكر المصادر وجودهم في مناطق أخرى من أقـــاليم الوجـــه البحري.

خامسا -عمل الدقهلية والمرتاحية

يقع هذا العمل بين عملي الشرقية والغربية، لذا فليس من المستغرب ان تنزل بطون مـن قبائل هذين العملين (الشرقية والغربية) في الدقهلية والمرتاحية. ومن ذلك منازل لاحدى بطـون جذام في هذا العمل كبني الوليد بن سويد[٢]، إذ ذكر العمري عن الحمداني أن بني عمارة وهـــم من بني الوليد بن سويد ينزلون "بالبرمونين" من أعمال الدقهلية[٣]، وأنهم طائفة كبـــيرة وفيـــهم عدد[٤]، وجاورهم بمنازلهم "بالبرمونين" الحيادرة، بنو حيدرة بن معروف بن الوليد بن ســـويد، وذكر المقريزي على عهده أنهم طائفة كبيرة وفيهم عدد[٥].

ومن بطون جذام في الدقهلية: بنو زهير[٦]، ويقال لهم "الزهور"[٧]، قال الحمدانـــي أن أكـثرهم بالشام، والذين منهم في مصر امتزجوا ببني زيد بن حرام، ونزلو "بالحوف"، مما يلي "أشـــموم الرمان" قرب "دكرنس" بالدقهلية[٨]، ومنهم بنو ردالة والحضينيين والاحامدة، والحمارنة[٩].

وعدد السويدي من بطون زهير في الدقهلية والمرتاحية، بني مالك، وبني عبد الرحمـن، وبني عبيد، وبني عبد القوي[١٠]. ومنهم الشواكرة" بنو شاكر بن راشد بن عقبة"[١١]، أصحـــاب

---

(١) البري، القبائل العربية، ص ٢٣٨.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(٥)ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(٦)القلقشندي، قلائد، ص ٦٤.

(٧)القلقشندي، قلائد، ص ٦٤. انظر الزهور في اقليم الشرقية ص ١٧ من هذا البحث.

(٨)القلقشندي، قلائد، ص ٦٤. المقريزي، البيان، ص ٢٦.

(٩)القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦.

(١٠)القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٨٨. السويدي، سبائك، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(١١) وبنو شاكر هؤلاء غير شواكرة عقبة بالشرقية، انظر القلقشندي نهاية الأرب، ص ٣٠٢.

"شنبارة بني خصيب" بالدقهلية[١]. ومن الزهور بنو عمرو[٢]، وبنو مالك[٣]، وبنو عرين[٤]، ومنازلهم "بأشموم الرمان" وما حولها[٥] .

ومن بطون جذام في الدقهلية ، بنو الظبيب رهط مالك بن الظبيب، ذكر القلقشندي عن الحمداني أنهم امتزجوا ببني زيد بن حرام بن جذام، ونزلوا في الحوف مما يلي اشموم الرمان[٦].

وفي الدقهلية **كنانة عذرة**: وهم بنو كنانة بن عذرة بن زيد اللات ويرفع نسبهم إلى الحافي بن قضاعه[٧] ومنهم الجمارسة[٨]، وبنو شهاب وبنو ريدة[٩]، وبنو عصا، والرواشدة وهم غير رواشدة هلبا سويد بالشرقية[١٠]. ومن كنانة عذرة بنو شهاب عدهم الحمداني احدى بطون الجمارسة[١١]، وبنو محمد، وبنو سنان، وبنو حمزة، وبنو نياس[١٢]، ومنازلهم بالمرتاحية في "كوم بني مراس"[١٣]، وبمنيتي "محمود" "وعدلان" "قرب دكرنس"[١٤]. ومن كنانة عذرة بنو

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٣. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. المقريزي، البيان، ص ٢٦.
(٢)القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٧٤.
(٣) ن.م.، ص ٤١٣.
(٤) ن.م.، ص ٣٦١
(٥)القلقشندي، قلائد، ص ٦٤.
(٦)القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٧٥. السويدي، سبائك، ص ٤٢٥.
(٧) المقريزي، البيان، ص ٦٤. يقول المقريزي، أن كنانة عذرة هذه غير كنانة خزيمة.
(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي نهاية الأرب، ص ١٥٤، ١٥٥. القلقشندي، قلائد، ص٤٨. المقريزي، البيان، ص ٦٣، ٦٤.
(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي، قلائد، ص ٤٨. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٦٧.
(١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي ، قلائد، ص ٤٨.
(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٠٨.
(١٢) ابن فضل الله العمري، مسالك ص ١٧٨. والقلقشندي، قلائد، ص ٤٨ (بنو مراس). والقلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٩٢.
(١٣)القلقشندي، قلائد، ص ٤٨.
(١٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي، قلائد، ص ٤٨.

شمس،والفضليون، ومساكنهم "بكوم الثعالب" وما حولها[1]. كما عدد القلقشندي منهم بنو صبيح، وبنو ليث، وبنو عطية، وبنو يونس[2]، والاحامدة[3].

سادسا - عمل القليوبية

وهو عمل استحدث في عهد الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) بعد إراكة البلاد المصرية (سنة ٧١٥هـ/١٣١٦)، حيث كان قبل ذلك ملحقا بعمل الشرقية[4]. ومن القبائل التي نزلت فيه:

فزارة: وهم بنو فزارة بن ذبيان بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان[5]. وفزارة بطون وعشائر كثيرة، منهم بنو شمخ، وظالم، ومرة، ومازن، وشكم، وسعد، ولواذن[6]، وكانت منازلهم "بضواحي القاهرة"، وفي "قليوب" وما حولها[7] "كزفيتة" "وسندبيس" وما والاها[8]، وبهم عرفت البلدة المسماة "خراب فزارة"[9]

ومن فزارة : المقادمة، أولاد قايد بن مقدم، زعماء البحيرة وشيوخها[10]، ومنهم بنو بدر الذين ينتسب اليهم القلقشندي حيث يقول :"وهؤلاء قبيلتنا التي إليها نُعزّى وفيها ننتسب"[11]. وكانت منازل بني بدر بـ"قلقشندة" بالقليوبية، ويجاورهم فيها بنو مازن أبناء عمومتهم، وقد ذكر

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي، قلائد، ص ٤٩. المقريزي، البيان، ص ٦٤.

(٢)القلقشندي، قلائد، ص ٤٩.

(٣)القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٦٤. السويدي، سبائك ص ١٠٧، ١١٠، ١١٢.

(٤) محمود السيد، تاريخ القبائل العربية، ص ٥٨.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٥. المقريزي، البيان، ص ٤٨، ٤٩.

(٦) المقريزي، البيان، ص ٤٩.

(٧)القلقشندي، قلائد، ص ١١٣.

(٨) ن.م.، ص ١١٤.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٥. القلقشندي، قلائد، ص ١١٤. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٧٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ ص ٣٩٩. المقريزي، البيان، ص ٤٩.

(١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠. القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥. القلقشندي، نهاية الارب، ص١٦٠. الخالدي، المقصد الرفيع. ص ١٤٤ ب.

(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص١٦٥. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ١١٤. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤ب.

القلقشندي أن بـ"قلقشندة" بلدته، فرقتان، الأولى بنو بدر فيهم الرياسة والقوة والغلبة، والثانية بنو مازن، وقال: "وأهل بلدتنا "قلقشندة" نصفهم من بني بدر ونصفهم من بني مازن"[١].

سابعا - برقة

يقع هذا العمل في أقصى غرب الوجه البحري، ويظهر انه كان يتمتع بنوع من الوضع الخاص، وبخاصة في المرحلة الانتقالية، الواقعة بين نهايات الدولة الأيوبية وبدايات الدولة المملوكية[٢]،ويتبين ذلك من مساعي السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦ هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) مع بلبوش أمير برقة الذي كان يرفض الخضوع للدولة المملوكية، مما دعا الظاهر بيبرس إلى تجريد حملة عسكرية قادها أولاد عزاز بن مقدم، نجحت في القضاء على بلبوش سنة (٦٧١هـ/١٢٧٣م)، وإخضاع برقة للحكم المملوكي[٣].ومن القبائل التي كانت متوطنة في هذا العمل:

سُليم: ومنهم بنو عوف، يرفع الحمداني نسبهم إلى قيس عيلان[٤]، وهم أفخاذ وعشائر منهم بنو عوف بن بهز بن إمرؤ القيس، وبنو عوف بن فالج بن ذكوان[٥]، وبنو عوف بن بهثة[٦]، ومواطن هؤلاء ببرقة[٧]، ومنهم طوائف بالبحيرة وفي الصعيد[٨].

كانت الامرة على قبائل سُليم حتى سنة (٦٧١هـ/١٢٧٤م) للأمير "بلبوش"[٩] ثم صارت في أولاد عزاز بن مقدم،وكانت على زمن الناصر محمد بن قلاوون(٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-

---

(١)القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٩٩.

(٢) أنظر الخالدي المقصد الرفيع، ص ٨٦أ. دوروتيا، مقدمة مسالك الأبصار، ص٤٦.

(٣) حول الأمير بلبوش أمير برقة، وقصته مع السلطان بيبرس، انظر ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ج٣١، ص ٧١. محي الدين عبدالظاهر، الروض الزاهر ، ص ٤١٤-٤١٥. دوروتيا، مقدمة مسالك الابصار، ص٤٦.

(٤)ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٤، ١٦٥. المقريزي، البيان، ص ٤٨.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٤، ١٦٥. المقريزي، البيان، ص ٤٨.

(٦)القلقشندي، نهاية الارب، ص ٣٨١.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٠٠.

(٨)القلقشندي، قلائد، ص ١٢٤.

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٩، ١٨٠. المقريزي، البيان، ص ٧٠. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ج٣١، ص ١١، ويذكر ابن شداد ان بلبوش فرض سيطرته على بلاد برقة، وحماها من اليهود الذين كثروا فيها وسيطروا على مرافقها.

١٣٤٠م) لقائد بن مقدم وخالد بن سليمان أمراء البحيرة وزعماؤها[١]، قبل أن يضعف أمرهم وتنتقل الإمّرة منهم لأولاد عريف على زمن القلقشندي[٢].

ومن بطون سليم في بلاد برقة بنو هيب بن بهثة، ومنازلهم فيما بين السدرة[٣]، والإسكندرية[٤]. ولبني هيب في سليم عزة لاستيلائها على إقليم طويل خربت مدنه وصارت ولايته لاشياخهم الذين انضوى تحت لوائهم خلق كثير من البربر، وامرتهم كباقي بطون سليم في عزاز بن مقدم وأولاده[٥] .

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٩-١٨٠. المقريزي، البيان، ص ٧١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ج١، ص ٤٠٠. وانظر القلقشندي، قلائد، ص ١٢٥. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٥أ.

(٣) السدرة آخر حدود الديار المصرية غرباً، انظر ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨١، وانظر المقريزي، البيان، ص ٧٢.

(٤) المقريزي، البيان، ص ٧٢.

(٥) القلقشندي ، قلائد، ص ١٢٤، وانظر صبح الأعشى، ج١، ص ٤٠٠ وانظر المقريزي ، البيان، ص ٧٠.

الفصل الثاني

المماليك الجراكسة والقبائل العربية

أ- سياسة المماليك الجراكسة تجاه القبائل العربية

ب- موقف القبائل من قيام الدولة

ج- الواجبات المترتبة على القبائل

أ- سياسة السلاطين المماليك تجاه القبائل العربية

يمكن تقدير نظرة سلاطين المماليك للقبائل العربية، من خلال مقولة ابن فضل الله العمري،التي تعبر عن رأي الدولة تجاه القبائل العربية حيث يقول :" أما العرب بمصر في الوجهين البحري والقبلي، فجماعات كثيرة، وشعوب وقبائل، لكنهم على سعة أموالهم، واتساع نطق جماعاتهم، ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام" [١]. وهو ما يدل على أن السلاطين المماليك كانوا يستهينون بالعرب، حتى وإن كانوا أصحاب مكانة اجتماعية.

ومنذ أن قامت دولة المماليك الأولى سنة (٦٤٨ هـ/١٢٥٠م) - والتي قاومها العرب لشعورهم بأنهم أحق من المماليك بالملك[٢]،- تميزت سياساتهم تجاه العرب بالكراهية والعداء، وشدد المعز أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)، بعد أن تبين له موقف القبائل العربية، في القطيعة مع العرب، وزيادة المأخوذ منهم، ومعاملتهم بالعنف والقهر[٣]. أما السلطان بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)، فقد نظر لأمراء العرب -حتى المقربين منه- نظرة احتقار، ولم يأبه بمكانتهم أو احتياجاتهم، ويؤكد ذلك، موقفه المتشدد من أحد أمراء العرب الذي سعى إلى الحصول على إقطاع ، حيث استدعاه بيبرس فوبخه وهدده بالطرد من البلاد، وقال له :" ويلك يا بدوي نحس، وصلت بك أن تطلب إقطاع وتبرطل السلطان على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً"[٤]. وهذه النظرة كانت السمة الغالبة على تصرفات معظم أمراء المماليك تجاه العرب[٥].

---

(١) ابن فضل العمري، التعريف، ص ١٠٠.

(٢) اجتمع العرب على حصن الدين الجعفري، وقاموا بثورتهم على المماليك سنة ٦٥١هـ، حول هذه الثورة انظر المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٧٩. وانظر المقريزي، البيان، ص ٩-١٠. ابن تغري بردي، النجوم، ج٧ ص ٧-١٠.

(٣)المقريزي ، السلوك، ج١، ص ٤٨٠.

(٤) ن.م.، ج٣، ص ٣٠٦.

(٥) تقدم الأمير مهنا وأخيه أيام الظاهر بيبرس وسلار، فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب وينزلان عما بأيديهما عوضاً عنها، فغضب سلار ونهرهما وقال: "ياعرب وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد، وتعملوها لكم"، انظر المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٠٥.

وفي سعيهم لكبح جماح العرب والقضاء على عصيانهم، بحث سلاطين المماليك، عن حكام إداريين يتميزون بالقسوة والشدة، حتى أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م)، طلب من حاجبه أن يبحث له عن كاشف ظالم يوليه عرب الشرقية، فدله على شخص في الشام تنطبق عليه الشروط[١]، فأُحضر وقابل السلطان فقال له: "أريد منك أن تعمل عملاً أرضى به عنك في أهل الشرقية، وأكبرك بعدها، فقال له: "عليّ أن أرضيك وأسخط الله تعالى"[٢]، فخلع عليه، وركب إلى بلبيس، وشرع في كبس اهلها وبلادها، وابتدأ مهمته بقتل ستين شخصا إدعى أنهم من المفسدين، وأمعن في قتل الناس، حتى قيل:" إن الرطب الذي يأتي من بلبيس لا يأكله أحد لا في الشرقية ولا في غيرها من كثرة الطير الذي يقف على جثث الموسطين[*] ثم يطير على النخل"[٣].

أما السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)، الذي تولى الحكم بحجة القضاء على حركات التمزد العربية[٤]، فأبتدأ حكمه بسياسة مغايرة لمن سبقه من السلاطين، فقد كان يقدم أصاغر الأمراء العرب على أكابرهم . ويقول الصيرفي :"أن برقوق كان مولعا بتقديم الأسافل، وغيّر ما كان للناس من الترتيب، وعادى أكابر العربان والتركمان في بلاد الحجاز والشام ومصر"[٥]. ولعل سياسة برقوق هذه كانت تهدف إلى خلق الخلافات في داخل القبائل العربية، واشغالها بصراعاتٍ عربيةٍ عربية،بدل أن يتطلعوا إلى السيادة على المماليك.

---

(١) يذكر اليوسفي أنه وقع الاختيار على ابن المرواني المقيم في الشام، وكان ابن المرواني مشهورا بالظلم والإخلاص في العمل، انظر اليوسفي، نزهة ، ص ٢٥٤.

(٢) اليوسفي، نزهة، ص ٢٥٥.

(*) التوسيط: هو أن يُعرى الشخص من الثياب، ويضرب بالسيف بقوة تحت السرة ليقسم إلى نصفين، انظر ابن منظور، لسان العرب، (مادة وسطه).

(٣) اليوسفي، نزهة، ص ٢٥٥. ويذكر الخياري المدني ان بلبيس تشتهر بكثرة أشجار النخيل، انظر الخياري المدني، تحفة الأدباء، ص ٥.

(٤) انظر، المقريزي، خطط، ج٣، ص٣٩٢. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥. ابن حجر، انباء،ج٢، ص٩٢. ابن إياس، بدائع،ج١، ق٢، ص٣١٠.

(٥) الصيرفي ، نزهة ، ج١، ص٢١٣.

لكن الدور الذي قامت به القبائل العربية، أثّر على مسار الأحداث، التي شـــهدتها فـترة الدراسة، وحتّم على سلاطين المماليك انتهاج سياسة تـــهدف إلـــى كســـب هـــذه القبـــائل فـــي صفوفهم،وتجلى هذا الدور في سيطرتهم على مناطق شاسعة تتخللها طرق المواصلات والحـــج والبريد، علاوة على دورهم المؤثر في معارك الدولة الخارجية[١] وفي الصراعات الداخلية التي كانت تنشأ بين الأمراء المماليك على السلطة[٢].

وقد عمدت الدولة المملوكية إلى انتهاج سياسة خاصة مع القبائل العربية تميزت بـالتودد إليها أحياناً وترهيبها في أحيانٍ أخرى، لتقليص دورها المؤثّر، وابتدأت بزعمائهم، ونجحت إلـى حد ما في السيطرة عليهم من خلال إنشاء ديوان خاص بالقبائل العربية[٣]، يهدف إلـى معرفـة أنساب هذه القبائل وأعدادها ومراكز القوى فيها، وجعلت على رأسه "المهمندار"، "الـــذي كـان يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافـــة، ويتحـــدث فـــي القيـام بأمورهم"[٤].

ولم يكتفِ المماليك بإنشاء هذا الديوان ، وإنما ابتكروا ما سمي بوظيفة " إمرة العـــرب" التي جعلوها رتبة عسكرية عالية ضمن الجهاز الإداري المملوكي، انتظم فيها العـــرب ضمـــن بيروقراطية الدولة[٥]. فكانت هذه الإمرة تعطي لشيخ القبيلة ذات النفوذ الكبير، فتتيح له السيطرة على الأعراب في منطقة واسعة[٦].

---

(١) حول مشاركة ابناء القبائل العربية في حروب المماليك مع تيمورلنك، وشاه ســـوار والعثمـــانيين، انظـــر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٧. الصيرفي، ابناء، ص ٣٦٥، ابن إياس، بدائع،ج١، ق٢، ص ٤٠٩ وج٣ ص٢٦٩،٣٣١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٨٦. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٣١٩ وج٤ ، ص١٢٧. وانظر ابـــن تغـــري بردي، النجوم، ج١١، ص١٩٣ و ج١٢، ص ٢٣٠، وج ١٥، ص ٧٥-٧٧. ابن إياس، بدائع ، ج١، ق٢، ص ٥٧٥، و ج٣، ص ٣٦٤.

(٣)دوروتيا، مقدمة تحقيق كتاب مسالك الابصار، ص ١٦.

(٤) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢. العقيلي، مصطلحات صبح الاعشى، ص ٣٣٤. دوروتيـــا، مقدمة تحقيق كتاب مسالك الابصار، ص١٦-١٧.

(٥) دوروتيا، مقدمة تحقيق كتاب مسالك الأبصار، ص ١٦.

(٦)ن.م. ص ١٦.

وفي هذا المجال، عمدت الدولة إلى منح الإقطاعات، ورتب " الإمارة" لعدد من زعماء العرب كنجم بن هجل أمير عربان الشرقية[١] وخالد بن مقدم أمير عربان البُحيرة[٢] وآخرين[٣].

كما بذلت الدولة الأموال الطائلة، والاعطيات والهبات لأمراء القبائل[٤]، ليوزعوها بدورهم على القبائل الواقعة في نطاق إمرتهم[٥]. وفي الغالب يقوم المهمندار بترتيب هذه الأمور ويأخذ عليها موافقة السلطان لتصدر بها المثالات الشريفة[٦].

وتمثلت سياسات الدولة الترهيبية في صور متعددة منها:

١- تشتيت القبائل العربية سياسياً رغبة في عدم توحدها، وتمثّل ذلك في الهجرة القسرية التي فرضتها الدولة على بعض القبائل التي تشعر بخطورتها، فعلى إثر حركة بدر الدين بن سلام في أواخر الدولة المملوكية البحرية سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، نقل الظاهر برقوق - الذي كان أتابكاً للجيش المملوكي في ذلك الوقت[٧]- عرب هوارة (إحدى بطون لواتة) من ديارهم في بلاد البحيرة، وأسكنهم أخميم من بلاد الصعيد[٨].

وفي سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وأثناء تتبع المماليك لحركة القبائل العربية، وجدت إحدى حملاتهم جماعة من هوارة تنزل قرب الأهرامات في الجيزة، فقبضوا عليهم ووسّطوهم بغير ذنب، ويذكر المقريزي أن عددهم بلغ نحو ٢٣ رجلاً[٩].

---

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ١٠٠-١٠١، وانظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٧، ص ١٧٦.

(٢) انظر ابن فضل الله العمري، التعريف ص ١٠٠ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص ١٧٦.

(٣) عن الإمرة في الوجه البحري، انظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص ٧١-٧٢، ٧٩، ١٧٥،١٧٩.

(٤) انظر ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٠٢. المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٠٦.

(٥) دوروتيا، مقدمة تحقيق كتاب مسالك الابصار، ص ١٦.

(٦) هي الأوامر والقرارات السلطانية، طرخان، النظم الاقطاعية، ص ٥٠٣، وانظر حول المثالات، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٧) ابن اياس، بدائع، ج١ ، ق ٢، ص ٢٦٦.

(٨) القلقشندي، قلائد، ص ١٦٨. المقريزي، البيان، ص ٥٨. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ١٢٢. وانظر السخاوي، تاريخ ، ص ٢٧٠.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ١٠١ . ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٨١.

وفي سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، أجلى السلطان المؤيد (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) عدداً من بطون لواتة: (كزنارة ومزاتة وخفاجة) من بلادهم البحيرة، لتغير أدركه عليهم[١]، وأسكنها لبيد، إذ " استدعاهم من بلادهم وأقطعهم منازل لواتة من بلاد البحيرة"[٢].

وكانت القبائل العربية أثناء حكم دولة المماليك البحرية عرضة للملاحقة والمتابعة، إذ في سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) قام الامير شيخو في سلطنة الناصر حسن الثانية (٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦١م) بمداهمة بركة الحاج" عند عود الحجيج إليها، بحثاً عن الأعراب المتهمين بالفساد والتخريب، وكما يقول المقريزي:"وضرب عليها حلقة ونادى في الناس، من كان عنده بدوي وأخفاه فقد حل دمه، وفتش الخيام، وقبض على جماعة من الأعراب، فوسّطهم ورحل إلى الجيزة وحذر الناس من إخفاء العربان بالوجهين، وكان يعرض الرجال فيقبض على الأعرابي، ويترك غيره"[٣].

٢- إثارة الفتن بين القبائل العربية، وإشغالها في حروب طاحنة مع بعضها، وتمثل ذلك في إشراك العرب في صراعات المماليك السياسية، ففي سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، وقعت حروب طاحنة بين حرام وبني وائل وغزالة، نتيجة لاشتراكهم في صراعات المماليك على السلطة، حيث أيد كل فريق منهم طرفا في الصراع الذي شب بين آقبردي الدوادار وقانصوه خمسمائة[٤] على السلطة، فالتجأ أقبردي إلى عرب بني وائل وغزالة. وأرسل قانصوه خلف عرب بني حرام لنصرته على آقبردي وحلفائه من بني وائل. فالتقى الفريقان، ودارت بينهم معارك استمرت لعدة

---

(١) القلقشندي، قلائد، ص ١٢٦.

(٢) ن.م. ص ١٢٦.

(٣) المقريزي ، السلوك، ج٤، ص ١٨٣-١٨٤.

(٤) كان كل من أقبردي وقانصوه يسعى للسيطرة على الحكم، انظر ابن أياس، بدائع، ج٣، ص٣٦٠، ٣٦٤.

ايام، وكما يذكر ابن إياس، "صار الأتراك يتقعون(*) مع بعضهم والعربان مع بعضهم"[1]، وزاد القتل بين العرب، حيث خسروا في هذه الفتنة ما يزيد على الألف انسان[2].

وهذا يدل على تخوف المماليك من تطلع العرب إلى السلطة ، فقاموا بإشراك العرب في فتنة، لكي يأمنوا جانبهم ، خاصة وأن المماليك مشغولون في الصراع على السلطة فيما بينهم ،ولذلك فهم غير مؤهلين لمواجهة العرب إن استغلوا هذا الوضع، فلجأ المماليك من أجل ذلك إلى استغلال العداء التقليدي بين بني وائل وبني حرام ،فأشغلوهم بفتنة قبلية.

وفي سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، حاول الأمير المملوكي سودون الحلبي الملقب بـ "طاز" توريط عرب الشرقية في حركة التمرد التي قام بها على السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م)، حيث لجأ إلى سليمان بن بقر أمير الشرقية طالبا منه المساعدة على مواجهة السلطان، ولكن ابن بقر آثر الحياد والسلامة، وأرسل إلى السلطان في القاهرة يعلمه بأمر سودون فأرسلت قوة ألقت القبض على سودون في ديار ابن بقر[3].

وفي سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) وإثر انهزام الأمير المملوكي يشبك الدوادار واتباعه في الواقعة السعدية[4]، وأثناء مروره بقطيا[5] متوجها إلى الشام، تلقاه أمراء الشرقية من العايذ، وثعلبة، وهلبا سويد، وبنو بياضة، وأمدوه بما يحتاج من المساعدة، إلا أنه خرب المدينة

(*) يتقعون بمعنى يتحاربون ويتقاتلون، وإذا وقع قوم بقوم قيل واقعوهم، انظر ابن منظور، لسان العرب، (مادة وقع).

(١) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٣٦٥.

(٢) ن.م ، ج٣، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) حول تمرد سودون على السلطان فرج أنظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٨٦. ابن حجر، إنباء، ج٥، ص٧١. ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٣٠.

(٤) حدثت هذه الموقعة بين السلطان فرج بن برقوق ويشبك الدوادار، واستمرت عدة ايام، انهزم على اثرها يشبك ورحل إلى الشام. انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ١١٥، ابن حجر، إنباء، ج٥، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٥) قطيا مدينة في الجفار على طريق الشام قرب الساحل، انظر القلقشندي صبح الاعشى، ج٣، ص ٤٦٠. عبد المنعم الشامي، مدن مصر وقراها عند ياقوت، ص ٥٩.

واعتدى على الأهالي ونهب الأسواق، ولم يسلم العرب من أذاه حتى بعدما قدموا له العون والمساعدة[١].

وفي محاولتهم الفاشلة للاستيلاء على السلطة سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، نجح كل من شيخ ونوروز في توريط الزهور وبني وائل من عرب الشرقية في صراعهم السياسي، حيث اشتركوا في حصار القلعة التي احتمى فيها نائب الغيبة[٢].

انحازت الدولة لبيبرس بن بقر في حروبه مع هلبا بن سويد، عندما قامت بينهم الحرب سنة (٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، وانهزم على إثرها بيبرس بن بقر، ولأن عرب هلبا بن سويد كانوا خارجين على الطاعة، قام نائب القدس "قراجا العمري" بالثأر لبيبرس، فهاجم عرب هلبا على حين غفلة وأعمل فيهم القتل، وأسر منهم ثمانين رجلاً، سمّرهم وأرسلهم إلى القاهرة[٣].

٣-استخدم السلاطين حكاماً إداريين تميزوا بالقسوة والظلم. ويتضح ذلك من خلال الاحداث التي قامت بسبب سوء سيرة هؤلاء الحكام. ففي سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م) ثار أهل السمناوية[٤] على ناصر الدين محمد السلاحوري، والي دمياط، لشدة بطشه بالناس وكثرة اعتداءاته عليهم، ويُذكر "أنه كان يتسلط على حرم المسلمين ونسائهم وأولادهم"[٥]، فأنف الناس من سوء فحشه، فقبضوا عليه وأشهروه على جمل ثم قتلوه[٦] .

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ١١٥. ابن حجر، إنباء، ج٥، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) حول هذه الحركة ومشاركة عرب الزهور ووائل فيها، انظر المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٢٧١-٢٧٣. حيث يؤرخ هذه الحادثة سنة ٨١٠. وانظر ابن إياس، بدائع، ج١، ص ٧٠٨. ونائب الغيبة هو الذي ينوب عن السلطان وقت غيبته عن القاهرة ويعطى بعض صلاحيات التصرف بالأمور، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٧.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ٢١٦.

(٤) السمناوية، قوم يتعيشون على صيد السمك ويسكنون في جزائر وعزب قرب البحيرة، انظر ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ٢٧٩.

(٥) ابن حجر، إنباء ، ج٧، ص ٢٧٩. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٥٥. ابن حجر، إنباء ، ج٧، ص ٢٧٩. الصرفي. نزهة، ج٢، ص ٤٠٣.

أما فخر الدين بن أبي الفرج الاستادار"[1]، فقد توجه للوجه البحري في أواخر سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، وأسعره نارا من كثرة المصادرات "حتى أنه قرر على كل بلد وكفر ذهبا معينا أخذه في اسرع وقت"[2]. وعظم البلاء على الناس في الوجه البحري[3]،ويقول المقريزي: "ثقلت وطأة الامير فخر الدين على أهل النواحي بالبحيرة"[4]، وطارد فلول العربان إلى برقة، وعاث فسادا في كل بلاد كان يسير فيها[5]، وجمع من الأموال في وقت يسير "ما لا يدخل تحت الحصر، حتى كان جملة ما حصله للسلطان في مدة يسيرة أكثر من مائة الف دينار"[6].

وثار أهل البحيرة سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) على كاشف الوجه البحري "آقبغا الجمالي" وحدثت بينهم مواجهات عنيفة، انتهت بمقتله وسلب متاعه[7]، وكان هذا الكاشف قد تميز بشدة الظلم والقسوة، حتى أنه كان يحرق بيوت الناس ويعتدي على أعراضهم[8]، ويقول الصيرفي: "لما وصل إلى دمنهور وقع في قلوب العربان الطائعين والعاصين الرعب، فصار يمسك المؤذي ويقتله، وسار من دمنهور إلى تروجه إلى مريوط، وكبس على العاصين ونهب أموالهم"[9].

---

(١) الاستادار هو المتكلم بأمر إقطاع السلطان مع الدواوين والفلاحين، وهو المتولي على امر بيوت السلطان والحاشية والغلمان، وله الحديث المطلق والتام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيوت السلطان من النفقات والكساوي وغيرها، انظر المقريزي، خطط، ج٣، ص ٣٦١. انظر ابن طولون، نقد الطالب، ص ٦٠.

(٢) الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٣٠. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٢٢ ، ٤٣٠.

(٥) ن.م.، ج٦، ص ٤٢٢.

(٦) ابن حجر، إنباء ، ج٧، ص ٢١١.

(٧) الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٨)ن.م.،ج٣، ص ٢٨٠.

(٩) ن. م، ج٣، ص ٢٨٠.

ولما رأى زعماء العرب أطماعه وشهوته لجمع الاموال، كادوا له مكيدة، وأطمعوه في الاستيلاء على ممتلكات لجماعة من العربان العصاة، حيث كمنوا له وقتلوه(١).

وفي سنة (٩١٠هـ/١٥٠٥م) اضطر السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)، إلى إعادة تعيين الأمير بيبرس بن بقر في إمرة الشرقية لإعادة الأمن والاستقرار إليها، وقمع العرب الثائرين-فيها(٢).

وثارت القبائل العربية في سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م) في الشرقية والغربية والبحيرة بسبب جور الكشّاف، وذلك بعد وفاة الامير "الجلويلي" أمير "العربان" في البحيرة، والذي يبدو أنه كان يقف في وجه التعسف المملوكي ضد القبائل العربية(٣).

٤- استخدام اساليب القتل و التنكيل لإرهاب زعماء القبائل.

استخدم سلاطين المماليك اساليب قاسية ومتنوعة لإرهاب رؤساء القبائل العربية لقمعهم وإخماد ثوراتهم، وتمثلت هذه الأساليب فيما يلي:

أ-الضغط على القبائل العربية وزعمائها عن طريق سبي النساء والأولاد، وبيعهم رقيقا في الأسواق. وكانت القاهرة تحتفل بعد كل حملة عسكرية تحقق انتصارا على القبائل العربية، حيث يخرج الناس متفرجين على الأسرى والسبايا من النساء والأطفال(٤)، ويصف ابن إياس عدداً من هذه النماذج:

---

(١) حول هذه الحادثة، انظر ابن تغري بردي، النجوم ج٤، ص ٢٢٨. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٧٢.

(٣) يذكر ابن إياس أن الجويلي كان محمود السيرة في إخماد الفتن، وطرد المفسدين عن البلاد، انظر بدائع، ج٤، ص ٣٥٣، ٣٥٧.

(٤) الصيرفي، إنباء، ص ٤٥. وانظر بدائع، ج١، ق ١، ص ٤٠٧و ج١، ص ٢٦٦، ٢٦٩وج٣ ص ٤١٥-٤١٦.

ففي أعقاب انتصار المماليك على بدر الدين بن سلام سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)[1] في البحيرة. قام المماليك بسبي بنات بدر بن سلام ونسائه وكل من وجدوه من نساء العرب وبناتهم ورجالهم، وساقوهم إلى القاهرة، وكان الرجال مقيدين بالجنازير، تتبعهم النساء والأطفال بالحبال[2].

واستخدم الأمير آقبردي في حملته على الصعيد سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م) الأسلوب نفسه، حيث قتل الرجال وسبى النساء وأحضرهن للقاهرة، وباعهن مع أطفالهن كما يباع الرقيق من الزنج على حد قول ابن إياس[3].

وفي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، وعلى اثر وقعة غزالة مع المماليك بالمعيصرة[4] والتي تكبد فيها المماليك خسائر كبيرة، "حتى طلبوا النعوش من القاهرة"[5]، قاد طومان باي حملة عسكرية طارد فيها عرب غزالة ـ الذين نزحوا إلى الصعيد- فكبسهم وقبض على عدد كبير من الرجال والنساء والاطفال، وأحضرهم إلى القاهرة، فكان الرجال مكبّلين بالحديد، والنساء مقيدات بالحبال وقد علقت رؤوس أزواجهن المقطوعة برقابهن[6].

ب-الضغط على القبائل العربية وزعمائها عن طريق القتل والحبس، والأمثلة على ذلك كثيرة:

---

(١) انظر هذه الحركة في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج١، ق ١، ص ٢٦٩.

(٣) ن.م ج٣، ص ٢٤٠.

(٤) مدينة في البحيرة على الضفة الغربية من فرع رشيد ، انظر الخريطة، وانظر محمد رمزي، القاموس، ج٢، ق ٢، ص ٣٦.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج ٣، ص ٤١٥.

(٦) ن.م.،ج٣ ، ص ٤١٦.

(٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م)، ويقول: "قبض على شخصين من الأعـراب مـن قطـاع الطرق، فسُمرا بعد ضربهما أمام السلطان، ثم أشهرا على الجمال ثم سـلخا، وجعـل جلدهمـا بواً(*)، وأرسلا إلى الشرقية ليصلبا فيها"(١).

يبدو من هذه الحادثة أن المقصود إرهاب أبناء القبائل العربية من قبل السلطة، أكثر مـن مجرد عقاب على جريمة. وقد تكرر مثل هذه الحادثة سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م) في عهد الاشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) ، حيث مُثّل بشخصين من قطاع الطـرق العـرب، واشهرا بطريقة بشعة يصفها ابن إياس بقوله: "فأشهرا مسمّرين على لعبة من الخشـب غريبـة الهيئة، تجر بالعجل ولها حركات تدور بها كلما سارت العجلات"(٢).

وفي سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م). وسّط عدد من "عربان" بني سعد وحرام، وكان من بينهم موسى بن عمران أحد أعيان بني حرام في الشرقية، وصبي لم يتجاوز العاشرة من عمـره(٣). كما أشهر في السنة نفسها ثلاثة أشخاص من بني حرام، وصلب أربعة آخرون(٤). وعلـى إثـر هذه الحوادث ثار أهل الشرقية لاسيما بني حرام، وأعلنوا عصيانهم، وأرسلت عليهم الحمـلات العسكرية لإعادة الأمن والإستقرار(٥).

واجتهد قايتباي في معاقبة زعماء القبائل بقسوة لمنع التمرد والعصيان، فأمر في سـنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) بتوسيط عمر بن أبي الشوارب زعيم القليوبية وأحد أعيانها(٦).وأمر في سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م) بقتل أحد مشايخ فزارة مع عدد من الرجال، بحجة العصيان والفساد، وطيف

(*) البو هو الحوار، وقيل جلده يحشى تبنا أو حشيشاً يقرب إلى الناقة إذا مات ولدها، انظر ابن منظور، لسـان العرب، (مادة بوأ).

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٩٤.

(٢) انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٤٩٤-٤٩٥. وانظر ابن اياس، بدائع، ج٣، ص ٢٣٢.

(٣) الصيرفي، إنباء، ص ٣٢٠، ٣٢٧.

(٤) ن.م، ص ٤٤٣، ٤٤٥.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٦٠.

(٦) ن.م.، ج٣، ص ١٠٦.

بروؤسهم في شوارع القاهرة[1]. كما عمد في نفس السنة إلى التخلص من قاسم بن بيبرس بن بقر أحد أمراء العرب في الشرقية، الذي وجد مشنوقا[2]. وهذا يشعر أن سلاطين المماليك كانوا يستخدمون أساليب مختلفة للتخلص من زعماء القبائل العربية ، ومنها القتل سرا، بحيث يقتل الشخص دون علم ذويه وقبيلته، حتى لا يتمكنوا من معرفة القاتل ،فيثورون عليه احتجاجا ،أما افراد القبائل من غير الزعماء فإنهم يصفون علنا.

وفي سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، أمر قايتباي بقتل مجد الدين بقر بن بقر من أعيان الشرقية، وكان مسجونا منذ ست سنين، فوسطه بالقاهرة، حيث كان حاقدا عليه لانه شمت بمقتل يشبك الدوادار وتخلق هو وأولاده بالطيب والزعفران[3]. ويأسف ابن إياس لمقتل هذا الأمير الذي يصفه بأنه: "كان حشما وشيخا جليلا تولى الاستادارية".

أما في عهد السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) فقد كان حقد الأمراء على القبائل العربية وزعمائها واضحا لدرجة أنهم كانوا يشيرون على السلطان بعدم إشراك العرب في حروبهم أو حملاتهم العسكرية[4].

وإثر حركات التمرد والعصيان التي نشبت في نواحي الوجه البحري كالغربية والشرقية والبحيرة سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م)، لجأ الأمراء المماليك في القضاء عليها إلى قطع رؤوس الشباب من أبناء القبائل العربية وإرسالها للقاهرة في أكياس من التبن محملة على الجمال[5].

وذكر ابن إياس أن الأمراء المماليك "استخدموا المناشير في نشر أجساد العربان من رؤوسهم

---

(١) ابن اياس، بدائع، ج٣، ص ٢٢١.

(٢) يذكر ابن إياس، أن قاسم بن بيبرس كان من خيار بني بقر وأعيانها انظر ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ١٨٧.

(٣) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٢٤٨.

(٤) ن.م.، ج٥، ص ٢٢.

(٥) ن.م.، ج٤، ص ٥٢.

حتى أقدامهم وهم أحياء ثم سلخوا جلودهم وحشوها بالتبن"[١]، حتى سكن الاضطراب بنواحي الوجه البحري[٢].

وقبض على عدد من أعيان بني حرام في الشرقية سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، كان من بينهم علاء الدين بن قرطام من كبار المحرضين على العصيان والتمرد في الشرقية[٣]، فقطعت رأسه وأرسلت إلى القاهرة وطيف بها في شوارعها، ثم علقت على باب زويلة أيامًا، ثم نقلت إلى سرياقوس[٤] لتعلق بها [٥].

وقرر السلطان الغوري في سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) قتل أحمد بن مهنا شيخ بني وائل بالشرقية فسُمّر مع مجموعة من أقاربه، وطيف بهم في شوارع القاهرة، ثم شنق على باب النصر، بحجة هروبه من السجن[٦]. كما قرر في السنة التالية (٩١٤هـ/١٥٠٨م) إعادة الشيخ عبد الدايم بن بقر أمير الشرقية إلى السجن بحيلة دبرها للقبض عليه[٧]. وفي العام (٩١٦هـ/١٥١٠م) أمر الغوري بشنق عمر بن موسى النفعي أحد أعيان ثعلبة وامرائها بحجة الفساد[٨].

---

(١)ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٥٢.

(٢)ن. م. ج٤، ص ٥٢.

(٣) يقول ابن إياس أن الفضل في القبض على علاء الدين بن قرطام يعود لشيخ العرب نجم الدين بن بقر حيث قبض عليه في جبل الطور، وحز رأسه هناك وأرسلها للقاهرة، وعد قتله من النوادر، انظر بدائع، ج٤، ص ٥٥.

(٤) سرياقوس، إحدى مدن القليوبية، واشتهرت فيها الخانقاه التي بناها الناصر محمد بن قلاوون، انظر المقريزي، خطط، ج٤، ص ٢٨٤-٢٨٥. وانظر الخريطة.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٤ ، ص ٥٥.

(٦) ن.م.، ج٤، ص ١١٦.

(٧)ن. م. ج٤، ص ١٤٥.

(٨)ن.م، ج٤، ص ١٩٤.

وعلى إثر تمرد بني حرام في الشرقية في العام (٩١٩هـ/١٥١٣م)، قام كاشف الشرقية بالقبض على صالح بن قرطام[١] وأرسله إلى القاهرة، فو سط، وسلخ، وحشي جلده بالتبن، وأركب على فرسه وطيف به في شوارع القاهرة[٢].

وعندما توجه الأمير قاني باي على رأس حملة عسكرية لتعزيز القوات المملوكية في حلب، وأثناء مروره بالشرقية، قام بالاعتداء على أبناء القبائل العربية فكان إذا ظفر بأحدهم يوسطه، ويشهر به، ثم يسلخه من رأسه حتى قدميه، ويذكر ابن إياس أنه فعل هذا مع جماعة من الأعيان والأشراف، "وزعم أنهم من العرب"[٣].

ومما سبق تتضح مدى القسوة التي كان يلجا إليها سلاطين المماليك وأمراؤهم في كبح جماح القبائل العربية وإسكاتها لمجرد الشك بهم والخوف من عصيانهم.

ب- موقف القبائل العربية من قيام الدولة

شعرت القبائل العربية منذ أن قامت دولة المماليك البحرية "الأولى" واعتلاء المعز ايبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م) عرش مصر، أنها أحق بالملك من المماليك، فيذكر المقريزي: "أن عربان مصر أنفت من تملك أيبك لأنه مملوك قد مسه الرق"[٤]، وعبر حصن الدين ثعلب الجعفري[٥] عن ذلك بقوله: "نحن أصحاب البلاد، وإنا أحق بالملك من المماليك، وقد كفى إنا خدمنا بني أيوب وهم خوارج، خرجوا على البلاد، وإنما الترك هم عبيد

---

(١) ابن ايلس، بدائع، ج٤، ص ٣٢٤.

(٢) ن. م. ج٤، ص ٣٢٤.

(٣) ن. م. ج٤، ص ٤٥١.

(٤) المقريزي ، البيان، ص ٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٣. السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص٥٨.

(٥) هو حصن الدين ثعلب بن الامير نجم الدين علي الجعفري، انظر ترجمته عند المقريزي، البيان، ص ١٠، ٣٨.

للخوارج"[١]، وكاتب الملك الناصر يوسف بن العزيز بدمشق، يستحثه على القدوم إلى مصر[٢]، وجمع القبائل العربية من سائر أنحاء مصر، وأعلن سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) الثورة على الدولة المملوكية، ممتنعا من دفع الخراج، بل وكف ايدي الولاة عن تحصيله[٣].

واجه المماليك القبائل العربية بأن أرسلوا لها في نفس السنة جيشا قوامه خمسة الاف فارس مملوكي قاده أقطاي[٤]، والتقى الفريقان بموقعتين كبيرتين، إحداهما في "دروط"[٥] والأخرى في ناحية "سخا" من أعمال الغربية[٦]، وانهزمت القبائل العربية على إثرهما، وشتت المماليك الاتراك شملهم، وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم[٧]، وقبضوا على الشريف وأصحابه[٨]. وقد ذلت القبائل العربية بعد هاتين الوقعتين، وضعف أمرها، "وزاد المعز أيبك في القطيعة على من تبقى من العرب حتى ذلوا وتفرقوا"[٩].

واستمرت مشكلة القبائل العربية قائمة ولم تهدأ، بل وازدادت حركاتهم في عهد المماليك الجراكسة بصفة خاصة، على الرغم من قسوة المماليك عليهم وممارستهم لأشد أنواع التعذيب والتنكيل، كالشوي بالنار، وتقطيع الأجساد بالمناشير، والسلخ والصلب، وسبي النساء والأطفال[١٠].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١ ، ص ٤٧٩.

(٢) ن.م.،ج٤، ص ٤٧٩. المقريزي، البيان، ص ٣٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٧٩.

(٤)ن.م.، ج١، ص ٤٨٠

(٥) انظر ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص ١٩.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣ ، ص ٤٨٠. المقريزي، البيان، ص ١٠ .

(٧) المقريزي، خطط ج٣، ص ٣٨٦. المقريزي، البيان، ص ٣٨،١٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٨٠.

(٨) انظر ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٧٠-٢٧١. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٨٠.

(٩) المقريزي، خطط ،ج٣ ، ص ٣٨٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج٧ ، ص ٨.

(١٠) انظر الصيرفي، إنباء ص ٤٥. وانظر ابن اياس بدائع، ج١، ق ١، ص ٤٠٧ و ج١ ، ص ٢٦٦، ج٣ ، ص ٢٤٠،٤١٥-٤١٦.

إذ في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وجد أمـــراء البحـيرة أن الفرصة مواتية للوصول إلى الحكم الذي طالما نادوا به طوال الفــترة المملوكيــة البحريــة[١]، فاستغلوا انشغال الامراء المماليك في صراعاتهم السياسية، والتي أدت إلى اضطراب الأحـــوال الداخلية والاقتصادية[٢] وأعلنوا سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) تمردهم علـــى الدولــة[٣]، وهــاجموا دمنهور قصبة عمل البحيرة ، ونهبوا بيوتها وأسواقها وعطلوا السفر، ومنعوا الخــراج[٤]. ولــم يستطع برقوق -أتابك الجيش المملوكي في ذلك الوقت[٥]- أن يعيد الاستقرار إلا بعد التخلــص من بركة والقضاء على ثورته[٦] . ولما قامت الفتنة بيـــن برقــوق ويلبغــا النــاصري ســنة (٧٩١هـ/١٣٨٩م)[٧]، ثارت "عربان" "الزهيرية" في الشرقية، وأعلنت العصيان "وبالغوا فـــي العتو والفساد...... وانتشروا في بلاد الريف ينهبون ويفسدون"[٨]، حتى أرسلت عليـــهم حملــة عسكرية كبيرة قادها أربعون من الأمراء المقدمين شنوا فيهم الغارات "وقتلوا منهم مقتلة عظيمة،

---

(١) حكيم السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ٥٣.

(٢) عانت الدولة المملوكية الأولى في أواخر أيامها من انقسامات ومنافسات شـديدة بيـن الأمــراء الأتــراك والجراكسة، ونجم عنها فتن وحركات أدت لتدهور أحوال البلاد السياسية والاقتصادية. انظر ابن خلـــدون، تاريخ، ج٥، ص٤٥٧-٤٥٩. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٤٤-٢٥٥. المقريزي، الســلوك،ج ٥، ص ٣٢-٤٢ و ٨١-٨٥. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص ٢٣-٢٧. ابن حجر، إنبـــاء، ج٢ ص ٢-٦، ٩. ابن تغري بردي، النجوم ، ج١١، ص١٦٤-١٦٥. ابن إياس، بدائع، ج١، ق ٢، ص ٢٧٤.

(٣)انظر المقريزي، السلوك ج٥، ص ٩٤-١٠١. ابن حجر، إنباء ، ج٢، ص ٦-٨. ابن اياس، بدائـــع، ج١، ق٢، ص ٢٦٦-٢٦٨. وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج١، ق ٢، ص ٢٦٦.

(٥) ن. م. ج١ ، ق ٢، ص ٢٦٦.

(٦) كان برقوق قد تآمر مع نائب الاسكندرية خليل بن عرام على قتل بركة سرا في سجن الاسكندرية، ثم أنكــر ذلك، وأمر بقتل ابن عرام وبهذه الطريقة تخلص من أشد منافسيه على السلطة، انظر ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٥٤-٢٥٥. ابن حجر، إنباء، ج٣، ص١٩٨. ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٧٤.

(٧) حول فتنة يلبغا الناصري وبرقوق انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٢١٦-٢٢٩. ابن حجر، إنبـاء، ج٢، ص٣١١-٣٢٤. ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص ٢٦٢-٢٣٤. ابن صصري، الدرة المضيئـة ص ٣، ١٩. الصيرفي، نزهة، ج١، ص ١٨٦-٢١٠.

(٨) الصيرفي، نزهة، ج١ ، ص ٢٣٢.

وقبضوا على ثلاثمائة رجل"[١]، سمروا منهم ثمانين رجلا وأشهروهم على الجمال في شوارع القاهرة، علاوة على ما صادروه منهم من الخيول والجمال[٢].

وبعد اعتلاء برقوق عرش السلطنة للمرة الثانية (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م) وعلى الرغم من حذره الشديد ومراقبته لكل تحركات أمراء القبائل العربية، فإن الأمير موسى بن محمد بن عيسى أمير عرب العايذ في الشرقية اشترك في المؤامرة التي دبرها جمال الدين محمود العنابي للإطاحة بالسلطان برقوق سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)[٣]. ولما اكتشفت المؤامرة، قتل أمير العايذ المذكور مع عمه مهنا بن عيسى العايذي وجماعة من أعيان العايذ بالإضافة إلى المماليك المشتركين فيها[٤].

وواصلت القبائل العربية رفضها للدولة المملوكية، وعبرت عن ذلك بشتى السبل والوسائل، فتقف تارة في جانب أمراء المماليك المنشقين، وتارة أخرى تعلن تمردها على الدولة، فتتسبب في خلخلة الأمن وزعزعة الاستقرار، وتقوم بأعمال النهب وقطع الطرق وتخريب البلاد، أو التصدي للحملات المملوكية المتوجهة ضدها. ففي سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) وعلى أثر تمرد عرب البحيرة، توجهت إليهم حملة عسكرية، حاصرتها القبائل العربية في مدينة دمنهور، ولم تستطيع هذه الحملة أن تفك حصارها إلا بعد وصول حملة تعزيز من القاهرة[٥].

وفي السنة نفسها، وقف كل من عرب بني وائل، و"عربان" هوارة إلى جانب أمراء المماليك المنشقين شيخ ونوروز في محاولتهم الاستيلاء على السلطة، وساعدوهم في حصار

---

(١)الصيرفي، نزهة، ج١ ، ص ٢٣٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٥ ، ص ٣٠٧. الصيرفي، نزهة، ج١، ص ٢٣٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٥ ، ص ٣٥٣-٣٥٤. وانظر ابن حجر إنباء، ج٣ ، ص ١٩٨. وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٥ ، ص ٣٥٣-٣٥٤. ابن حجر، إنباء ، ج٣، ص ١٩٨.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج١ ، ص ٧٧١.

نائب الغيبة في القلعة[1]. واستمر هذا النزاع حتى سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)، حيث اتفق الأميران شيخ ونوروز على خلع الناصر فرج بن برقوق، وتولية السلطنة للخليفة المستعين[2].

وتحالفت "عربان" البحيرة على العصيان والخروج عن طاعة السلطان سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، فاعتدوا على اقطاعات المماليك وغيرهم من المقطعين ونهبوها، وأحرقوا مخازن الغلال، فوجه إليهم السلطان يلباي المؤيدي (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) حملة عسكرية، وقرر تعيين أمير جديد على عرب البحيرة، ووجه في نفس الوقت حملة عسكرية كبيرة إلى الشرقية قادها عدد من الأمراء المقدمين، لرد أهلها عن القيام بمثل ما فعلت "عربان البحيرة"[3].

ووجدت القبائل العربية في الوجه البحري عامة، وقبائل البحيرة بشكل خاص، في انشغال السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) في قتال شاه سوار سنة (٨٧٣هـ-١٤٦٨م) فرصة للاستيلاء على البلاد، فأعلنت هذه القبائل تمردها وقامت بأعمال النهب والتخريب وقطع الطرق[4]، فقرر السلطان إرسال حملات عسكرية لإعادة الأمن والاستقرار للبحيرة والشرقية. كما قرر تعيين برقوق الناصري كاشفا جديدا، عامل القبائل العربية بالعنف والقسوة، وكما يقول ابن إياس "وحصل به نفع في قمع العربان المفسدين"[5].

وفي سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) قبض السلطان قايتباي على خضر بن عيسى بن بقر أمير الشرقية في حيلة دُبّرت له[6]، فأحضر للقاهرة وضُرب ضربا مبرحا أمام السلطان، وسجن

---

(١) جاء عند المقريزي ان هذه الحادثة وقعت سنة ٨١٠، انظر السلوك ج٦، ص ٢٧١-٢٧٣. وانظر ابن إياس، بدائع، ج١، ص ٨٠٧.

(٢) ن.م، ج١ ، ق ٢ ، ص ٨٢٣.

(٣) ن.م ، ج٣، ص ١٢-١٣.

(٤) يذكر ابن تغري بردي، ان انشغال السلطان بالإستعداد لقتال شاه سوار رافقه فتن عمت اسفل الارض، انظر، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص ٢٦٩. الصيرفي، إنباء، ص ٩. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٢٣.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٣٦.

(٦) الصيرفي، إنباء، ص ٢٨٩-٢٩٠.

بسجن المقشرة، وكان هذا الأمير قد خرج على الطاعة وأعلن العصيان، ويذكر انه "خرب قطيا وأحرق أشجارها وقتل منها جمعا وصار ممتنعا من مقابلة السلطان"[١]. وقرر السلطان تعيين بقر بن راشد بن أحمد أحد أقارب علي بن خضر المذكور أميرا على عرب الشرقية[٢]، وقرر كذلك إرسال حملة عسكرية الى الشرقية لردع وتأديب "عربان" سعد ووائل الذين افسدوا في البلاد وأمعنوا في القتل والنهب[٣]، وأمر الأمراء المجردين بالقبض على كل من يجدوه منهم بالشرقية، فألقي القبض على جماعة من سعد ووائل تم تسميرهم ثم قتلهم توسيطا، وكان من بينهم صبي دون البلوغ، ولم تقبل شفاعتهم فيه[٤]. وأدى ذلك إلى هيجان "عربان" الشرقية خاصة بني سعد وحرام، وإعلانهم العصيان في بلاد الشرقية، حتى أنهم هاجموا مدينة القاهرة نفسها في العام (٨٧٦هـ/١٤٧١م)[٥]. وقد تكرر عصيان "عربان" الشرقية من بني حرام ووائل في العام (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، وتزامن عصيانهم هذه السنة مع هجوم عرب غزالة على الجيزة وضواحيها، واقتحام السجن وإطلاق من فيه من المساجين[٦].

وفي محاولتها للتخلص من حكم المماليك استغلت القبائل العربية فرصة انشغال المماليك بالتأهب لقتال العثمانيين سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، واجتمعت فيما بينها للإتفاق على كيفية تنفيذ مهمتها، وقالت: "إن مصر ما بقي بها أحد من الجند إلا القليل"[٧]. وقد بلغ السلطان قايتباي ما كان يدور في ذهن هذه القبائل، فعمل على تسيير دوريات أمنية منظمة تجوب شوارع القاهرة

---

(١) الصيرفي، إنباء، ص ٢٨٩.
(٢) ن.م، ص ٢٨٩.
(٣) ن.م.، ص ٢٨٩.
(٤) ن. م. ص ٢٩١-٣٢٠.
(٥) ن.م، ص ٣٢٠. وانظر ثورة سعد ووائل وحرام سنة ٨٧٦ الفصل الثالث من هذا البحث.
(٦) ابن إياس، بدائع، ج٣ ، ص ١٠٥.
(٧) ن. م. ج٣ ، ص ٢٥٣.

وضواحيها تخوفا من هجمات القبائل العربية، وإفشال مخططاتها ضد الحكم المملوكي. ويعلق ابن إياس على ذلك بقوله: "وزاد طمعهم في حق الترك"[١].

وقامت حركة قادها كل من الجويلي ومرعي في الوجه البحري سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)[٢]، كما كان سليمان بن قرطام[٣]، يكثر من شن الغارات لزعزعة الأمن وضرب المصالح العامة في الشرقية، حتى قيل إن أمره أعجز الدولة وأعيا الكشاف[٤]. ولما قبض عليه سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م)، شنق على باب زويلة مع عدد من أقاربه وأصحابه، الأمر الذي أدى لتمرد بني حرام في الشرقية، وكادوا أن يستولوا على بلاد المقطعين، لولا خروج طومان باي على رأس حملة إلى الشرقية، أمضى فيها عشرين يوما، وعاد بعدها محملا بالغنائم والأسلاب[٥]. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل بنو حرام على عصيانهم حتى سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م)، حيث قام كاشف الشرقية (قانصوة العادلي) بالقبض على ابن زعيمهم المدعو صالح بن قرطام وقتله بطريقة بشعة الأمر الذي زاد من عصيان بني حرام وغيرهم من القبائل العربية في الوجه البحري، فقطعوا الجسور وأغرقوا الأراضي[٦].

وفي عهد السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) زادت حركات عصيان القبائل، واستمرت حتى أواخر عهده. فعندما عين السلطان الغوري الامير قانصوه كاشفا جديدا على الشرقية في رجب سنة (٩٠٧هـ/١٥٠٢م)[٧]، رفضت القبائل العربية التعامل معه، بل أن

---

(١)ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٢٥٣.

(٢) ن.م، ج٣، ص٣٩٨-٤٠٠.

(٣) هو أحد أعيان الشرقية ومن مشايخ بني حرام، ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٤٢٧.

(٤) ن.م.، ج٣، ص ٤٢٧.

(٥)ن.م.، ج٣، ص ٤٢٨.

(٦)ن.م.، ج٤، ص ٣٢٤.

(٧)ن.م.، ج٤ ، ص ٢٥.

زعماء القبائل امتنعوا عن مقابلته، فأمضى أربعين يوما في بلبيس[١]، وكانت أعمال النهب والتخريب التي تقوم بها القبائل العربية على مرمى من بصره، دون أن تكون له القدرة على التدخل، ثم عاد أدراجه إلى القاهرة[٢]. ولما رأت القبائل العربية في الغربية والبحيرة تراخي الدولة في الشرقية، ثارت هي الأخرى في العام (٩٠٨هـ/١٥٠٣م)[٣] وعلى الرغم من تعاقب الحملات العسكرية وتشديد الرقابة على أبناء القبائل العربية وزعمائها، فإن حركات التمرد والعصيان لهذه القبائل ظلت مستمرة حتى بعد دخول العثمانيين واستيلائهم على البلاد المصرية سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)[٤].

---

(١) بلبيس قصبة عمل الشرقية، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص ٤٥٩.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٢٥.

(٣) ن.م، ج٤، ص ٥١-٥٢. وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(٤) ن.م، ج٥ ، ص ١٩٤-١٩٦، ٢٤٠-٢٤١.

ج- الواجبات المترتبة على القبائل العربية

نظراً لسيطرة القبائل العربية على منا طق شاسعة وبعيدة تتخللها طرق المواصلات ومراكز البريد والثغور، فقد ألزم السلاطين المماليك هذه القبائل بواجبات مهمة ومختلفة منها:

١-حماية طرق المواصلات ومراكز البريد والمحافظة عليها. وقد اهتم السلاطين المماليك بتتبع أخبار الممالك والنيابات في الدولة[١] وعملوا على إدارة شؤونها من القاهرة، فنظموا البريد بين القاهرة ودمشق وغيرها من النيابات بشكل دقيق "حتى صار الخبر يصل من القلعة إلى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها"[٢]، وجعلوا كل قبيلة عربية في منطقتها مسؤولة عن محطات البريد التي كانت تقع ضمن بلادها، فتزودها بكل ما تحتاجه من الخيول والجمال والعلوف[٣].

التزمت القبائل العربية بتأمين خيول البريد، وهي الخيول التي عرفت بـ "خيل الشهاره"[٤] وكانت تتولى مهام نقل البريد من المراكز التي تنتهي عندها مهام خيل البريد السلطانية[٥]. ويذكر ابن فضل الله العمري أن خيل البريد السلطاني تتولى مهام البريد من القلعة في القاهرة، إلى بلبيس قاعدة عمل الشرقية، وأما من بلبيس إلى العريش فكان البريد على خيل العرب الشهارة[٦].

---

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٦٩.

(٢) المقريزي، خطط، ج١، ص ٣٦٧.

(٣) فرحان سعيد، آل ربيعة، ص ٩٧.

(٤) هي خيول مقررة على عربان ذوي اقطاعات، يحضرون خيولهم في مطلع كل شهر ويستعيدونها في اخره. انظر ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٧٣. وانظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٤، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٥) هي الخيول المملوكة للاسطبلات السلطانية، انظر ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٧٢، وانظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٤، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٦) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٧٤.

وعملت القبائل العربية على توفير الحماية والأمن للقوافل التجارية والمسـافرين عـبر الأراضي التي تسيطر عليها[١] ، كما وفرت وسائط النقل اللازمة كالخيول والجمال والبغال لنقل الغلال والمحاصيل المختلفة بين أجزاء الوجه البحري[٢].

٢-حراسة قوافل الحجاج وحفظ الأدراك[٣].

تولت القبائل العربية مسؤولية الحفاظ على سلامة قوافل الحجيج فـي المنـاطق التـي تسيطر عليها[٤]، ووفرت لهم وسائط النقل من الجمال والخيول[٥]، وأعمـال الحمايـة اللازمـة لذلك[٦]. وأما ما كان يقع من اعتداءات على مواكب الحجيج، فإنها غالباً ما تكون ناتجة عن سوء تصرف أمراء الركب مع زعماء القبائل في أدراكهم ومحاولاتهم قطع المقرر لهم من الديـوان السلطاني[٧]، لقاء حفظ الأدراك، يقول الجزيري: "يجب أن تعلم أنه في غالب أحـوال عربـان الدرك لا يتعمدون حصول الفساد والأذى والتخطف إلا عند قطع عوائدهم المرتبـة لـهم مـن الديوان السلطاني، فإن الملوك السالفة ما رتبوا ذلك لهم إلا لأجل استقامة احوال طريق الحـاج، ومرور أهل الركب في هذا الدرب على حالة الأمن والأمان... فمن أمراء الحـاج مـن يبطـل عادتهم من ديوانه. ثم يتقدم إلى عادتهم من الديوان الشريف فيطمع في غالبـها عينـا وصنفـا ويوجه لذلك وجوها من الذرائع، ثم ما كفاه ذلك الطمع وعدم النظر في العاقبة حتى يعاملهم مـع ذلك بسوء المعاملة فلا يراعي احوالهم إذا احتاجوا إلى العليق او الدقيق، ولا يوفيهم مالـهم ولا

---

(١) طرخان، النظم، ص ١٩٨. فرحان سعيد، آل ربيعة ، ص ٩٨.

(٢) طرخان، النظم، ص ١٩٨.

(٣) أرباب الأدراك، هم المكلفون بأعمال الحراسة وحفظ الأمن، طرخان، النظم، ص٤٨٢.

(٤) انظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص ٣٨٦. القلقشندي، قلائد، ص ٦٥. المقريزي، البيـان، ص٢٢، ٧٢. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص ١٣١٢-١٣١٣.

(٥) انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٥١. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣٢، ص ١٢٠٢، ١٢٠٥.

(٦) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص ١٣١٢-١٣١٤.

(٧) ن.م.، ج١، ص ٢٢٧، ٢٥٨، ٢٦٨، وحول المقرر لعربان الأدراك، انظر الجزيـري، الـدرر ج١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

يراعي أحوالهم، فليس عندهم حينئذ إلا أنهم يتداعون للفساد وتجتمع آراؤهم عليه"[١]. وما كان اعتداء بني عقبة بقيادة زعيمهم مبارك سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) واستيلائهم على الأقامات المجهزة للحجاج في عقبة أيلة إلا رداً على مثل هذه الأفعال[٢].

٣-تأمين الخيول العربية للاسطبلات السلطانية".

شغف السلاطين المماليك باقتناء الخيول العربية الأصيلة، وبالغوا ببذل الأموال والرغائب لأصحابها[٣]، الأمر الذي جعل أمراء العرب يطلبون هذه الخيول من غيرهم من القبائل الأخرى، بل أنهم تتبعوا عتاق الخيول من مضانّها حتى أتتهم العرب بكرائم خيولهم، فتكمن أمراؤهم من السلاطين، وبلغوا عندهم الدرجات العلى[٤]. ويقول المقريزي: "إن امراء العرب تمكنوا من نفس الناصر، ونالوا عنده المنزلة العلية، وحضوا بأنواع السعادات في أيامه"[٥].

وقد حرص السلاطين على جمع الأعداد الكبيرة من هذه الخيول، إما عن طريق الشواء أو التقادم[٦]. وقد أحصيت اصطبلات برقوق (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م) بعد وفاته، فوجد بها من الجمال والخيول والبغال ما يزيد على أحد عشر ألفا[٧].

وكان السلاطين المماليك وكبار أمرائهم إذا تأخر العرب بإرسال التقادم يوجهون إليهم الحملات العسكرية لتحصيله بالقوة، ذلك أنهم يعتبرون عدم إرسال التقادم نوعا من أنواع العصيان والخروج على الطاعة، مثلما حدث سنة (٨١٤هـ/١٤١١م)، حينما توجه السلطان

---

(١) الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص ٢٥٨، وانظر ص ٢٥٩-٢٦٠ حيث يذكر بعضا من هذه المكائد التي كان يدبرها أمراء الحاج لعربان الادراك.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦ ، ص ٢٦٨. ابن إياس، بدائع، ج٢، ص ٤٦٠-٤٦١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٠٣.

(٤) انظر ابن فضل الله العمري، ج٢، ص ٧٤، ١٠٠. وانظر المقريزي، السلوك، ج٣ ، ص ٣٠٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٠٣.

(٦) انظر ابن فضل الله العمري، مسالك، ج٢، ص ٧٤، ١٠٠ . المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٠٣-٣٠٤. والتقادم هنا تدل على استحقاق المقرر على القبائل،انظر ابن منظور،لسان العرب، (مادة قدم).

(٧) الشافعي، سمط النجوم العوالي ، ج٤ ، ص ٤١.

الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م) إلى الإسكندرية "وشن الغارات على الجهات البحرية لنهب الخيول والجمال والأغنام حيث وجدت، ودخل الإسكندرية فقدم عليه مشايخ تروجة، فخلع عليهم ثم أمسكهم وساقهم في الحديد بعد أن احتاط على أموالهم"[١].

وتكرر هذا الأسلوب في أخذ تقادم العرب طيلة العصر المملوكي الثاني، كما حدث سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) على عهد السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)[٢]، وسنة (٨٥٣هـ/١٤٤٩م) في عهد الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)[٣] وسنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) في عهد الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)[٤]. وسنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) في سلطنة محمد بن قايتباي الثانية سنة (٩٠٢-٩٠٤هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م)[٥].

وجمع المماليك أعداداً كبيرة من الخيول العربية والجمال عن طريق المصادرات[٦] وأعمال النهب التي قام بها أمراؤهم تحت ذريعة إخماد الفتن والقضاء على حركات التمرد التي تقوم بها القبائل العربية، ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) عندما توجهت حملة إلى الشرقية للكبس على "عربان" الزهيرية بحجة تزايد أعدادهم وكثرة فسادهم، فأخذ المماليك منهم في تلك الحملة ما يزيد على الألف فرس[٧].

وعلى إثر عصيان قبائل البحيرة سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، صودرت أملاكهم في هذه السنة مرتين متتاليتين. كانت الأولى في صفر والثانية في رمضان[٨]. وقام الأمير فخر الدين

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٠١. ابن حجر، إنباء ، ج٧، ص ١٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٨٧-٨٨. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٢٦٦. ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٢٩٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٣١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص ١٤٥.

(٤) الصيرفي، إنباء، ص ٧١-٧٢.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٣٩٣.

(٦) انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٢٤٣.

(٨) ن.م.، ج٦ ، ص ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٢.

الاستادار في السنة التالية (٨٢٠هـ/١٤١٧م)، بمصادرة القبائل العربية في الوجهين البحري والقبلي "فأخذ مالاً كثيراً من مصادرات الناس سوى ما ساقه من الخيل والجمال وغيرها"[١].

٤-معاونة رجال الدولة في جمع الزكاة وتحصيل الخراج.

كُلف أمراء القبائل العربية بأعمال جمع "زكاة المواشي"، والتي كانت تعرف "بالعِداد"[٢] من قبائلهم، كما قاموا بمعاونة عُمال الدولة بتحصيل العُشر المفروض على الزروع والثمار[٣]،

ويتعرض أمراء القبائل العربية في الغالب إلى انتقاد الأمراء المماليك وأصحاب الاقطاعات، وإلى حقد الفلاحين عند قيامهم بواجبهم، وتحصيل المقرر منهم وتقديمه للسلطان[٤]. ولعل تكليف العرب بهذه المهام، كان وليد حرص السلطة المملوكية على إذكاء الكراهية والحقد بين القبائل العربية والفلاحين. ومن الأمثلة على ذلك قرار السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) أن يأخذ فرساً من كل قرية من قرى أعمال الوجه البحري، وإن لم توجد يأخذ قيمتها خمسة آلاف درهم، وعشرة آلاف من بعض النواحي[٥]. ويعلق المقريزي على ذلك قائلاً: "وتحتاج أهل الناحية إلى مغرم آخر للذي يتولى أخذ ذلك"[٦]. ويذكر ابن إياس أن السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) كان يولي شيوخ "العربان" على البلاد، ويقرر عليهم أموالاً طائلة مقابل تحصيلهم الخراج من المقطعين[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٣٠. وانظر ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ٢٧٢. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠١.

(٢) العِداد: هي الحصص، انظر ابن منظور، لسان العرب، (مادة عدد).

(٣) انظر المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٣.

(٤) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك. ص ١٦٢.

(٥) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٢٩٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٣١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ٢٦٦. ابن حجر، إنباء ج٨، ص ٢٩٧.

(٧) ابن إياس، بدائع، ج٥ ، ص ٩٠.

٥-الالتزام بالخدمة العسكرية والدفاع عن البلاد.

يعد اشتراك القبائل العربية في الخدمة العسكرية والدفاع عن البلاد من أهم الواجبات المترتبة عليها، وقد شارك أبناء القبائل العربية فعلياً في حروب الدولة مع التتار والعثمانيين، وقدموا فرسانهم وخيولهم وجمالهم حينما لجأت الدولة إليهم أثناء استعداداتها لحرب تيمورلنك الذي استباح مدينة حلب سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[١].

وكانت مشاركة القبائل العربية في هذه الحرب فعالة وقوية، إذ جهز عرب البحيرة ستة آلاف فارس، وحضر من الشرقية صحبة الأمير ابن بقر ألفان وخمسمائة فارس، ومن العيساوية وبني وائل ألف وخمسمائة فارس، حضروا للعرض في القاهرة استعدادا للخروج مع الجيش المملوكي إلى الشام[٢].

وشارك عرب تروجة[٣] في الدفاع عن مدينة الاسكندرية، عندما تعرضت لإحدى غزوات الفرنج سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، فحاربوا الفرنج مع الأمير المملوكي زين الدين ابن أبي الفرج الاستادار "وكان لهم وقع شديد على الفرنج الذين ولوا أمامهم الأدبار"[٤].

وشارك فرسان القبائل العربية المماليك في حروبهم ضد شاة سوار سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م). وكانت مشاركتهم فعالة في مساندة الجيش وانتصار المماليك[٥].

وفي سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) وأثناء التجهيز لخروج السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) إلى حلب لمراقبة الأوضاع التي ستسفر عنها المواجهات بين

---

(١) انظر ابن إياس، بدائع، ج١، ق ٢ ، ص ٦٠٢. طقوش، تاريخ، ص ٣٧٤ وانظر وصية أمير العرب، ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٤٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٥٧. ابن إياس، بدائع، ج١ ، ق ٢، ص ٦٢٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٩٩.

(٣) إحدى مدن البحيرة، ومحل اقامة الكاشف قبل أن يصبح نائباً وينتقل إلى دمنهور قصبة عمل البحيرة، انظر ابن حجر، إبناء، ج٢ ، ص ٧٢٦. وانظر الخريطة.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٧ ، ص ١٩٢.

(٥) انظر الصيرفي، إنباء، ص ٣٦٥.

العثمانيين والصفويين[١]، قرر السلطان تجنيد عشرين ألفاً من أبناء القبائل العربية، ليكونوا في مقدمة الجيش في الحرب[٢]، لكنه رجع عن قراره نزولاً عند رغبة الأمراء المماليك الذين أشاروا عليه بعدم الركون للعرب والاطمئنان إليهم[٣].

وبعد انهزام المماليك في مرج دابق (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، حاولت القبائل العربية الدفاع عن البلاد والوقوف بوجه العثمانيين ضمن إمكانياتهم المحدودة، ونجح ابن الحنش[٤] إلى حدٍ ما ولفترة قصيرة من الزمن في تأخير تقدم العثمانيين إلى مصر، ويتحدث ابن إياس عن مواجهة كبيرة حصلت بين العثمانيين وابن الحنش قرب دمشق، خسر فيها العثمانيون عدداً من جنودهم وأموالهم[٥] .

ولما بدأت طلائع الجيش العثماني تتقدم إلى مصر، وقفت القبائل العربية في وجهها وعمدت إلى إحراق جرون الغلال، وإفساد مصادر التموين لكي لا يتقوى بها الجيش العثماني، ثم صاروا يغيرون على طلائع الجيش، ويقطعون خطوط إمداده، وكانوا يرسلون برؤوس من يقتلونهم من العثمانية إلى القاهرة لتعلق على أبوابها[٦].

ولما عزم السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م) على مواجهة العثمانيين في الريدانية، أرسل إلى القبائل العربية ليشاركوا مع من تبقى من الجيش المملوكي في الدفاع عن البلاد[٧]، فجهزت القبائل العربية من غزالة، ومحارب، والعايذ، وهوارة، حواليّ

---

(١) ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ٢٢.

(٢) ن.م. ج٥، ص ٢٢، ٣١-٣٢.

(٣) ن.م، ج٥، ص١٣٦. طرخان، النظم، ص ١٩٥-١٩٦.

(٤) هو ناصر الدين بن حنش أمير عربان حماة، ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ١٠٥-١٠٦. وانظر ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ٤٢-٤٣.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ١٠٥-١٠٧، ١١٢. ابن زمبل، واقعة السلطان، ص٤٢-٤٣.

(٦) حول دور عرب الشرقية من السوالم وغيرهم في التصدي للعثمانيين، انظر ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ١٤٢، ١٧٦.

(٧) ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ١٣٢.

عشرين الفاً من الفرسان العرب[1]، حضروا إلى معسكر الجيزة، وانتظروا العرض أمام السلطان، ومن ثم الانتقال صحبة الجيش إلى الريدانية. لكن السلطان عدل عن رأيه وأمرهم بالعودة لبلادهم نزولاً عند رغبة أمرائه الذين اشاروا عليه بعدم الفائدة من خروج العرب صحبة الجيش، وعدم الاطمئنان إليهم على الرغم من حاجته الماسة لوقوفهم معه[2]. وهوما يؤكد حرص المماليك من عدم إشراك العرب في الجيش، وإن فعلوا جعلوهم في المقدمة لكي يأمنوا جانبهم أثناء الحروب.

وفي سنة ١٥١٧/٩٢٣ ساند العرب طومان باي في مواجهة العثمانيين، وأمدوه بالمدد والفرسان، وخاضوا معه حربًا شرسة ضد العثمانيين في شوارع القاهرة وأحيائها، حتى كاد أن يستعيد البلاد من العثمانيين كماقيل[3].

ولما استولى العثمانيون على البلاد سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، واتضحت نواياهم تجاه القبائل العربية، شرعت هذه القبائل بإعلان الثورة على الحكم الجديد، وأعلنوا التمرد والعصيان في كل من الشرقية والغربية والبحيرة، واستمر عصيانهم على الرغم من إرسال الحملات العسكرية العثمانية إليهم حتى منتصف سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)[4].

٦-حفظ الأمن والقضاء على حركات التمرد.

أوكلت الدولة إلى زعماء القبائل العربية مسؤولية حفظ الأمن في البلاد الواقعة تحت نفوذهم، وطالبتهم بتتبع العصاة والخارجين على الطاعة، والقبض عليهم وإخماد حركاتهم[5].

---

(١) ابن اياس، بدائع، ج٥، ص ١٣٢.

(٢) ن. م. ج٥ ، ص ١٣٦.

(٣) ن.م، ج٥، ص ١٥٣، ١٥٤. وانظر ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ٧٦ وما بعدها.

(٤) عن حركات الجويلي ومرعي وابن بقر في أواخر سنة ١٥١٧/٩٢٣، انظر ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ١٩٤. وانظر حركة كل من عبد الدايم بن بقر وحسن بن مرعي سنة ١٥١٨/٩٢٤. ابن إياس، بدائع، ج٥، ص ٢٤٠، ٢٦١.

(٥) انظر ابن إياس، بدائع، ج٥، ص٨. وانظر، وصية أمير العرب، ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٤٥-١٤٦.

الطريقة، أن تتجاوز كثيراً من المخاطر التي قد تترتب عليها إن قامت هي بأدائها، وأن تتخطى كثيراً من الخسائر التي قد تقع عليها، كما استطاعت أيضاً أن تشغل العرب عن تطلعاتهم السياسية، بالمشاحنات المستمرة والفتن المتعددة التي كانت تقع بين القبائل العربية بسبب هذه المهام.

الفصل الثالث

حركات القبائل العربية

حركات القبائل العربية

تميز العصر المملوكي الثاني "الدولة الجركسية" بكثرة حركات القبائل العربية، والتـــي أصبحت منذ قيام هذه الدولة، أمراً مزمناً ظل يؤرق سلاطين المماليك حتى سقوط دولتهم علـــى أيدي الأتراك العثمانيين.

وقد لعبت عدة عوامل في قيام هذه الحركات، كان على رأسها العاملان، الاقتصـــادي، والسياسي.

أما العامل الاقتصادي فيمكن ملاحظته من خلال أمرين:

الأول: طبيعي ناتج عن القحط والجفاف الذي يصيب البلاد، نتيجة انحباس الأمطـار، أو بسبب قصور النيل الذي يؤدي إلى تعطيل الزراعة في الأراضي المرويـــة. وكـان انحبـاس الأمطار لسنوات متعاقبة على بلاد برقة قد أدى إلى هجرة قبائل لبيد سنة (٨١٨هـــ/١٤١٥م) إلى بلاد البحيرة طلباً للماء والكلأ[١].

وبوصول لبيد للبحيرة، بدأت مصادماتهم مع المماليك الذين لم يمكنوهم من الرعي فـي مواسم الجفاف، ومن التبادل التجاري مع أنحاء مصر[٢] ، الأمر الذي أدى لتمردهم على السلطة المملوكية، ومهاجمتهم الإسكندرية، ودمنهور، وتروجة عدة مرات[٣] .

---

(١) حول هجرة لبيد ما بين ٨١٥ و ٨٤٢ انظر القلقشندي، قلائد، ص١٢٦. المقريـــزي، البيـان، ص٧١. المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٤٠، ص٣٨٨، ٣٩٢. ابن حجر، إنبا، ج٧، ص٧٢. الصـيرفي، نزهـة، ج٣، ص٣١٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٠.

(٢) احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، ص ٤٧٩.

(٣) حول مواجهات لبيد مع المماليك انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٤٠، ٣٩٠، وج٧، ص٢٨٤. ابـن حجر، إنباء، ج٧، ص٧٢، ١٩٢، ٢١٦. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص٣١٣. ابن تغري بـردي، النجـوم، ج١٥، ص١٠.

وأدى قصور مياه النيل سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، إلى وقوع المجاعة، وارتفاع الأسعار بشكل لم تشهده الديار المصرية من قبل "حتى مات من أهل الإقليم بالجوع والبرد ما ينيف عن نصف السكان"[١].

ويتمثل الأمر الثاني بسوء الأحوال المعيشية للقبائل العربية. فالاضطرابات والفتن الداخلية بين المماليك، كانت تنتهي بفرض ضرائب باهضة لا تتحملها القبائل العربية، فتلجأ إلى العصيان، والإمتناع عن أدائها[٢] ، الأمر الذي يعرض ممتلكاتها إلى النهب والمصادرات من قبل المماليك الذين يوجهون الحملات العسكرية إلى هذه القبائل، بحجة القضاء على التمرد والفساد.ولعب العامل السياسي دوراً مهماً في إثارة القبائل، فبهدف إضعاف القبائل العربية وتشتيتها، لجأت الدولة إلى التهجير القسري لهذه القبائل، خشيةً من توحدها. فنقل الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)، عرب هوارة من بلاد البحيرة، وأسكنهم أخميم من بلاد الصعيد[٣] . وفي أعقاب فتنة البحيرة سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، أجلى السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، عدداً من بطون لواتة من بلادهم البحيرة، وأسكنها لبيد، بعد أن أقطعهم منازلهم[٤] .

وكثيراً ما يلجأ سلاطين المماليك وأمراؤهم إلى إثارة الفتن والحروب بين القبائل العربية، كالفتنة التي أثاروها بين بني حرام وبني وائل سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، والتي ابتدأت في ضواحي القاهرة، وانتهت في الشرقية[٥] .

---

(١) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٤٣.
(٢) انظر ابن إياس، بدائع، ج٤، ص٤، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٥١.
(٣) القلقشندي، قلائد، ص١٦٨. المقريزي، البيان، ص٥٨. ابن تغري بردي، ج١٢، ص١٢٢. السخاوي، تاريخ، ص٢٧.
(٤) القلقشندي، قلائد، ص١٢٦.
(٥) ابن إياس، بدائع ج٣، ص٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٥.

وبالاضافة إلى ما سبق، فإن المماليك كانوا يسيؤون معاملة القبائل العربية عند وقوع أي اضطراب. وكان لسياساتهم القائمة على الأخذ بالقهر والإذلال، واغتصاب الأموال بالقوة أعظم الأثر في تحريك مشاعر السخط لدى القبائل العربية ضدهم[١] .

وستتناول الدراسة في هذا الفصل، أهم الحركات التي قامت بها القبائل العربية في الوجه البحري في عصر الدولة المملوكية الثانية.

١-حركة قبائل البحيرة سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) بقيادة بدر بن سلام

أدت الصراعات السياسية التي نشبت بين المماليك الأتراك، والمماليك الجراكسة في أواخر العقد السابع من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي[٢] ، إلى اضطراب الأحوال الداخلية والإقتصادية في البلاد، فلجأت الدولة -كعادتها في مثل هذه الظروف- إلى "الزيادة في وظائف الجباية"[٣]، فاستثقلها عرب البحيرة، وامتنع بدر بن سلام المكلّف بجباية الخراج من أداء ذلك، فوجهت إليه التهمة بالعصيان، وأرسلت قوة للبحيرة سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) قبضت على والده سلام، وفرّ بدر إلى جهات الصعيد، فطاردته العساكر المملوكية الموجودة هناك، وجرت بينهم عدة مواجهات، استطاع في إحداها أن يقتل كاشف الوجه القبلي[٤].

ثم أن بدر بن سلام استغل الصراع الدائر بين المماليك الأتراك، والمماليك الجراكسة على السلطة، ورأى أن الفرصة أصبحت مواتية للخلاص من المماليك. فعاد إلى البحيرة، وجمع

---

(١) محمود السيد، تاريخ، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) عن صراعات المماليك السياسية فيما بين سنة ٧٧٩ وسنة ٧٨٢. انظر ابن خلدون، تاريخ ج٥، ص٤٥٧-٤٥٩. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٤٤-٢٥٥. المقريزي السلوك، ج٥، ص٣٢-٤٢، ٨١، ٨٥. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٣-٢٧. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٢-٦،٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص١٦٤-١٦٥. الباز العريني، المماليك، ص٦٦-٧٠.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٥٩.

(٤) ن. م. ج٥، ص٤٥٩.

القبائل، وأعلن التمرد قبل أن ينجح أحد الأطراف بحسم الصراع لصالحه. وأطلق لعربانه العنان في زعزعة الأمن ونهب البلاد، مما دفع برقوق أن يرسل له حملة كبيرة قادها الأمير قرط كاشف الوجه البحري[١] ، والأمير آيتمش وعدد من الأمراء المماليك مقدمي الالوف. وانطلقت هذه الحملة في ربيع الأول من سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، فضيّقت على عرب البحيرة، وقبض المماليك على عدد من زعماء العرب، كان من بينهم الشيخ ابن رحاب أمير تروجة الذي سار بصحبة قرط إلى القاهرة، فعفى عنه برقوق وخلع عليه[٢]. ثم أُعيد قرط للبحيرة بعد ما عُيّن نائباً للوجه البحري، ولقب بملك الأمراء، وأقام بدمنهور التي أصبحت مقراً للنائب[٣]، وشرع في تعميرها وبناء الأسوار حولها[٤] .

وفي جمادي الأولى من نفس السنة، أي بعد شهرين من هزيمته أمام قرط، عاد بدر بن سلام وهاجم مدينة دمنهور في خمسة آلاف فارس "وفتك فتكاً ذريعاً في دمنهور"[٥]، فنهب أسواقها وبيوتها، وخرّب ما صادفه من القرى والضياع، وآل أمر تلك البلاد إلى الخراب.

على أن برقوق ظل عاجزاً عن قمع حركة بدر بن سلام ولم يتمكن من إخمادها إلا بعد تمكنه من القضاء على ثورة بركة[٦]. فأعدّ في جمادي الثانية من نفس السنة حملة كبيرة قادها ثمانية من الأمراء المقدمين، توجهوا إلى البحيرة لمحاربة بدر بن سلام والقضاء على ثورته. وجرت بالمقابل الاستعدادات بين القبائل العربية لمواجهة تلك الحملة. وتشير الأخبار هنا إلى أن الحظ خدم برقوق، حيث استطاع أمراء الحملة ان يحصلوا من أحد العربان على خطة بدر بن

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٩.

(٢) ن.م. ج٢، ص٤٥

(٣) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٩٤-٩٥

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص١٠١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤٢١، و ج٤، ص٢٥. المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٠١.

(٥) ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٦٦.

(٦) ثورة قادها الأمير بركة كبير أمراء المماليك البحرية على الأمير برقوق كبير المماليك الجراكسة، حول هذه الثورة انظر، ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٥٧-٤٥٩. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٨١-٨٥. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٢-٦، ٩-١٠. ابن تغري بردي، ج١١، ص١٦٤-١٦٦.

سلام في الهجوم على معسكر المماليك وهم في خيامهم أثناء الليل، فأخذوا حذرهم، وتركوا الخيام، وكمنوا للعرب بالقرب منها[١] . فلما انتصف الليل، هجم العرب على المعسكر وقتلوا من تبقى فيه من المماليك، ونهبوا الوطاق، وانسحب بدر بن سلام قبل أن يتمكن المماليك من محاصرته، فاتهم قادة الحملة زميلهم خليل بن عرام نائب الإسكندرية، بالتواطؤ مع بدر بن سلام، لأنه لم يؤكد لهم الهجوم ليلاً[٢] .

وتشير المعلومات إلى أن المماليك استعادوا صفوفهم ثم تتبعوا العرب وأحاطوا بهم، وجرت بينهم موقعة كبيرة استمرت طوال الليل. فأوقع المماليك بالعرب، وقتلوا منهم ما يزيد على الألفي إنسان، "وأسروا من أولادهم ونسائهم ما لا يحصى، حتى قيل أنه قتل من العربان في تلك الليلة نحو الفي انسان، وقبض على أولاد بدر بن سلام ونسائه وبناته"[٣] .

ثم إن المماليك استباحوا تروجة وكانت مقر اقامة بدر بن سلام، وامعنوا في الفتك بالعرب وصاروا يقتلون من يضفرون به ما بين المذنب والبريء، ونهبوا منهم كما يقول ابن حجر "ما لا يحصى من أغنام وجمال وخيول وسلاح وغير ذلك من بنات ونساء، وراح في هذه الوقعة الطائع بالعاصي، وخربت تروجة خراباً شديداً وكذا غالب ما حولها وانتهبت اموالها"[٤] .

وعلى الرغم من سيطرة المماليك التامة على عرب البحيرة في هذه الوقعة، إلا أن بدر ابن سلام استطاع الفرار إلى جهات برقة، فتتبعته عساكر المماليك، ولم تتمكن منه، وظل طليقاً يناوش عساكر الدولة بين الحين والآخر، حتى قُتل غيلة على يد أحد أتباعه سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، وربما كان ذلك بتدبير من السلطان برقوق، استناداً إلى قول ابن حجر "قتله

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٥٩. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٩٤-٩٥. ابن قاضي شهبة، تاريخ ج٣، ص٢٩. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٦-٨. ابن اياس، بدائع، جح١، ق٢، ص٦٦.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٩. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٨. ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٣) ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٦٨. وانظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص٩٦. السخاوي، تاريخ، ص٢٧٠أ.

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٨. وانظر السخاوي، تاريخ، ص١٢٧. ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٦٨.

بعض العرب غيلة، وكان قد قهر السلطان وأعجز العسكر من التجاريد إليه وهو يفر من مكان لآخر"[١] .

احتفل المماليك بهذا النصر على قبائل عرب البحيرة، وزيّنوا القاهرة، وترقبوا وصول الغنائم والأسرى من الرجال والنساء والأطفال، وأوعز والي القاهرة إلى الأهالي بأن يحتشدوا للفرجة على الأسرى عند قدومهم للقاهرة، "الرجال في زناجير والنساء مقيدات بالحبال وهم جميعاً مشاة وأولادهم الصغار على أكتاف النساء، فكان يوم دخولهم مشهود"[٢]. وإمعانا في التباهي بالنصر، علقت رؤوس القتلى من عرب البحيرة على أبواب القاهرة لعدة ايام[٣] .

وبعد هزيمة القبائل العربية، وإفشال مخططاتهم في التحرر من السلطة أو الإنفصال عنها، قام السلطان برقوق بإجلاء عرب هوارة -قبيلة بدر بن سلام- إلى الصعيد[٤]، ليأمن تمردهم واجتماع كلمتهم. وتأكيدا لذلك، قامت الحملات المملوكية برصد تحركاتهم، ولم تمكنهم من العودة إلى بلادهم. وقد عثرت إحدى هذه الحملات على طائفة من عرب البحيرة عند الاهرامات سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، فقتلت منهم ٢٣ شخصا توسيطا[٥] .

٢- حركة العنابي وأمير العايذ سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)

التقى جمال الدين محمود العنابي[٦]، من عرب الشام[٧]، بالسلطان الظاهر برقوق في دمشق، بعد فراره من قلعة الكرك، وأفضى له بأسرار صحت عنده فيما بعد، فأحضره إلى مصر وقدمه على كثير من رجال دولته[٨] .

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٢٥٤. وانظر ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٥٩.

(٢) ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٠١. السخاوي، تاريخ، ص٢٧٤ ب.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص١٠١. القلقشندي، قلائد، ص١٦٨. المقريزي، البيان، ص٥٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٠١.

(٦) انظر ترجمة حياته عند ابن حجر، إنباء، ج٣، ص٤١١-٤١٢. السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٥.

(٧) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٣٥.

(٨) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٠٩. ابن حجر، إنباء، ج٣، ص١٩٨. السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٥.

ويبدو أن العنابي علم بعزم السلطان على السفر إلى الشام، فحدثته نفسه بالوثوب على السلطة، فاتفق مع الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن عيسى، أمير العايذ في الشرقية – وكان مسجونا مع عدد من أقاربه في خزانة شمائل[١]- ومع الأمير شهاب الدين بن قايماز أحد كبار المماليك الأتراك، وعدد من مماليك بركة، على الإطاحة ببرقوق والإستيلاء على السلطة.

أرسل العنابي كتاباً إلى موسى بن محمد بن عيسى العايذي في سجنه، يطلب منه أن يسمح لعربانه بالنزول قريباً من القاهرة، ليتمكن بواسطتهم من الإستيلاء عليها بعد خروج السلطان إلى الشام لحرب تيمورلنك، وقال له: "فإذا عدى الغريم قطيا أركب أنا وأنت ومعي ٥٠٠ مملوك، وتحضر عربانك ونأخذ القاهرة"[٢] .

غير أن العايذي رأى إشراك ابن الطبلاوي والي القاهرة في الخطة، ليسّهل عليه مهمة السيطرة على مدينة القاهرة، فأرسل اليه وأخبره بالخطة. لكن ابن الطبلاوي خشي على نفسه من فتك السلطان به لو انكشفت المؤامرة، فعزم على إبلاغ السلطان بما جرى، لكن بعد أن يحتاط لنفسه ويأخذ دليلاً على ذلك، فكتب إلى أمير العايذ يطلب منه أن يأخذ من العنابي ورقة بخط يده، ليضمن صدق عزمه على القيام بما أراد: "فإن كنت تقدر أن تأخذ ورقة بخط يده إفعل"[٣]. فأرسل الأمير موسى الكتاب الذي تسلمه من العنابي وفيه: "انك يا موسى ترسل إلى عربان البحيرة وعربان الصعيد بالركوب على الولاة والكشاف وقتلهم ونهب البلاد ليشتغلوا عنا بأنفسهم، وابعث إلى عربك أن يكونوا بقرب القاهرة"[٤] .

---

(١) انظر ابن الفرات، تاريخ، م ٩، ج٢ ص٣٧٦. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦. المقريزي، ج٥، ص٣٥٣. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٠٩.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣.

(٤)ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣.

ولما تسلم ابن الطبلاوي هذا الكتاب أرسله إلى السلطان في الريدانية، وأبلغه بتفــاصيل الحركة، فطلب منه السلطان الإسراع بالقبض على المشتركين في الحركة من الممـــاليك. أمـــا الأمير موسى العايذي فقد أمر السلطان بتوسيطه مع جميع أقاربه الموجودين معه في الســجن، وكانوا واحداً وعشرين شخصا، منهم مهنا بن عيسى عم الأمير موسى. فقُتلوا جميعاً في ربيــع الآخر من سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)[١] .

ومما سبق نجد أن القبائل العربية شكلت العنصر الأساسي في هذه الحركة والتي تقــوم على إثارة الفتنة ثم الإستيلاء على العاصمة.

- كان هدف العرب في هذه الحركة هو التخلص من حكم المماليك الجراكسة الظالم لهم اكثر من تطلعهم إلى السلطة، ويتضح ذلك من خلال موافقة الأمير موسى العايذي على خطـــة العنابي التي لا توفر له إلا وظيفة ثانوية في حالِ نجاحها. فكما تشير الخطة فإن أمر من سيتولى الخلافة وأتابكية الجيش كان محسوماً، أما السلطنة فستترك إلى ما بعد نجاح الخطة، وســتولى لشخصية ثالثة يتفق عليها الإثنان "ونولي الأمير شهاب الدين احمد بن قايماز الاتابكية، وأتولـــى انا الخلافة، ونولي سلطاناً، ونفعل ما ينبغي فعله"[٢].

صدرت الأحكام على أبناء القبائل العربية بشكل سريع ومفرط، دون الإلتفات إلى ما ســيترتب على هذه الأحكام من ردة فعل عنيفة من قبل القبائل العربية، مما يدل على عدم الإكتراث بـــهم، وتهميشهم المقصود. ففي الوقت الذي قبلت فيه الشفاعة بالممـــاليك الزينيـــة (ممـــاليك بركـــة) المشتركين بالمؤامرة، صدرت الأحكام بقتل جميع بني عيسى المسجونين في خزانة شمائل[٣].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٨٠-٣٨١. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣. ابــن قــاضي شــهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٠٩. ابن حجر، إنباء، ج٣، ص١٩٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٣. وانظر ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦. ابن قـــاضي، شـــهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٠٩. ابن حجر، إنباء، ج٣، ص١٩٨.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٧. المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٥٦.

-ربما تكمن أهمية هذه الحركة في أنها وقعت في السنة الثانية عشرة من حكم السلطان الظاهر برقوق، الذي سجل طوال تلك الفترة نجاحا في التخلص من مناوئيه، وكان لا يتحرج من استخدام أية وسيلة في سبيل ذلك، وتأتي هذه الحركة بعد سنوات طويلة من حكم المماليك، الأمر الذي يدل على إصرار العرب على استغلال أية فرصة تلوح لهم للتخلص من حكم المماليك، على الرغم مما ينتظرهم من ويلات في حال فشلهم.

٣- حركة عربان بني سعد وبني وائل وحرام في الشرقية سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م)

كان لتعاقب الحملات المملوكية على الشرقية والغربية بحجة فساد "العربان" أثره الكبير في تأجيج مشاعر القبائل العربية وهيجانها، فبحجة المحافظة على الاستقرار، وتطهير البلاد من المفسدين، كانت تقع على كاهل هذه القبائل تبعات قاسية، تمثلت بتشتيتها وطردها من أماكنها، علاوة على أعمال القتل ومصادرة الممتلكات، وحرمانها حتى من الحصول على الأقوات. ومن ذلك ما حصل سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) حين توجهت حملة قادها يشبك الإسحاقي أحد مقدمي الألوف، إلى أعمال الوجه البحري، لطرد "العربان" القادمين لطلب الميرة[١]، وكذلك مطاردات كاشف الشرقية في السنة نفسها لعربان بني سعد وبني حرام، التي أسفرت عن قتل وأسر العديد من الأشخاص، فسمر الأسرى وأرسلوا مع رؤوس القتلى إلى القاهرة، مصحوبين بعدد كبير من الخيول العربية المصادرة[٢] .

ولما عجز عيسى بن بقر أمير عربان الشرقية، عن تقديم الأموال المطلوبة للسلطان، قبض عليه في أواخر سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) وزج في سجن المقشرة[٣] "بعدما ضرب بين يدي السلطان ضربا مبرحا"[٤] .

---

(١) انظر الصيرفي، إنباء، ص١٤٥.

(٢) ن.م، إنباء، ص١١٩.

(٣) هو من أضيق سجون المماليك وأشنعها، يقاسي فيه المسجون من الغم والكرب ما لا يطاق، انظر المقريزي، خطط، ج٣، ص٣٠٦.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٦٠.

ولما ضجرت قبائل الشرقية من سوء تصرف المماليك، خاصة بعد القبض علـــى ابـــن بقر، أعلنت العصيان على الدولة، فقطعت الطرق ونهبت الأسواق، وطردت عمـــال الدولـــة[١]. فوجه السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) في أواخر ذي الحجـــة مـــن سـنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) حملة عسكرية كبيرة قادها الأشرف تمر حاجب الحجـــاب[٢] وعـــدد مـــن الأمراء المقدمين إلى الشرقية، وسلمهم مراسيم للكشاف، ومشايخ العربان، ولنائب غزه، ليكونـوا في خدمتهم في قتال بني حرام وسعد ووائل، "والقبض على كل مـــن يظفـــروا بـــه منـــهم"[٣]. وطاردت هذه الحملة العربان المذكورين في الشرقية، وشتتت شملهم، وقبضت على موسى بـــن عمران الذي "عجز عن تحصيله الكشاف ومشايخ العربان" وأبي طاجن، وهم من زعماء بنـــي حرام، ومعهم ثلاثين شخصاً تم تسميرهم، وإرسالهم إلى القاهرة، حيث وسطوا جميعا، وكان من بينهم صبي لم يتجاوز البلوغ[٤] .

وحين علم ذووهم بالفجيعة التي لحقت بهم جراء قتل أبنائهم، عادوا وأعلنوا عصيانـــهم الذي استمر طيلة سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م)، وامتد ليصل إلى مدينة القاهرة نفسها فـــي أواخـــر السنة. ويذكر ابن إياس أنهم "هجموا على القاهرة حتى وصلوا رأس خـــط الحســـينية ونـــهبوا الدكاكين وسلبوا أثواب الناس، واستمر الحال على ذلك من بعد العصر إلى بعد المغرب ورجعوا حيث جاؤوا"[٥] . عند ذلك قرر السلطان قايتباي إرسال حملة عسكرية قادهـــا أتـــابك الجيـــش المملوكي أزبك بن ططخ ومعه أربعة من الأمراء المقدمين وعدد كبير من الجند، إلى الشـــرقية،

---

(١) الصيرفي، إنباء، ص٣٤، ٢٩١

(٢) الحاجب هو الذي يتولى حفظ باب السلطان، وفي العصر المملوكي تولى حاجب الحجاب النظر في المظالم. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٥١. البقلي، مصطلحات صبح الاعشى، ص١٠١.

(٣) الصيرفي، إنباء، ص٢٩١، ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٦٠.

(٤) الصيرفي، إنباء، ص٣٢٠، ٣٢٦-٣٢٧. إبن اياس، بدائع، ج٣، ص٦٢.

(٥) الصيرفي، إنباء، ص٤٤٣. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٧١-٧٢.

وأقامت هذه الحملة في الشرقية حتى تأكدت من رحيل بني حرام وسعد ووائل وابتعادهم عن الشرقية.[١] .

على أن هؤلاء "العربان العُصاه" بنظر حكام المماليك، ظلوا يثيرون قلق السلطة من وقت لآخر. وعلى الرغم من تشديد مراقبة المماليك عليهم، إلا أنهم عاودوا عصيانهم وأعلنوا تمردهم في الشرقية سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، وتزامنت حركتهم هذه المرة مع حركة غزالة الذين تمردوا في الجيزة وضواحيها، فأطلقوا المساجين، ونهبوا خيول المماليك بعد أن قتلوا عدداً من غلمانهم[٢] .

وأدى تدهور الأحوال الاقتصادية للقبائل العربية في سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) و (٨٩١هـ/١٤٨٦م) بسبب الأموال التي فرضت على هذه القبائل بحجة التجهيز لقتال العثمانيين، إلى تمرد عرب البحيرة بقيادة محمد الجويلي سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م).

ولما استولى العثمانيون على أجزاء من أطراف الدولة الشمالية في منتصف سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، استنجد أزدمر نائب حلب بالسلطان لإرسال حملة ثقيلة لقتال العثمانيين وتخليص البلاد منهم. فعين السلطان أتابك جيشه أزبك بن ططخ لإعداد تلك الحملة. وكما هو معتاد في مثل هذه الأحوال فإن المماليك المعينون للسفر "أطلقوا في الناس النّار من كثرة المصادرات، "فصاروا يأخذون أبغال الناس وخيولهم غصباً حتى أخذوا أبغال الطواحين والأكاديش التي بها"[٣]. وكان وقع هذه المصادرات ثقيلا على القبائل العربية، واعتبر احتجاجها عصيانا، فشُرِعَ بملاحقة زعماء القبائل، والقبض عليهم وقتلهم في بعض الأحيان. ففي شوال سنة

(١) الصيرفي، إنباء، ص٤٤٣-٤٤٤. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٧١-٧٢.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص١٠٥.

(٣) ن. م. ج٣، ص٢١٩.

سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) قبض الزرازيري كاشف القليوبية على الشيخ محمد بن عامر أحد مشايخ فزارة، وعدة أشخاص، فقتلهم، وأرسل رؤوسهم إلى القاهرة للتشهير بها[١] .

ولما أحجم عربان البحيرة عن تقديم المقرر الذي فرض عليهم باسم الإعداد للحملة على العثمانيين، أرسل قايتباي دواداره[٢] كرتباي الأحمر في جمادي الثانية من سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م) كاشفا للبحيرة، "ليجمع له ما قدر عليه من طوائف العربان من الأموال والخيول" فأدى ذلك إلى استياء قبائل البحيرة من طغيان المماليك، فطردوا الكاشف وأعلنوا عصيانهم في شوال سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، بقيادة زعيمهم محمد الجويلي الذي التقى حملة مملوكية أُرسلت عليه في نفس الشهر، قادها أربعة من الأمراء المقدمين، وجرت بين الطرفين وقعة كبيرة هُزم فيها المماليك، بعد أن تكبدوا الكثير من الخسائر، "ورجع العسكر من غير طائل ولا حصلوا من الجويلي على شيء"[٣] . وكان وقع هذه الحركة شديداً على المماليك الذين اضطروا سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) إلى اقامة دوريات مكثفة لحراسة القاهرة خوفا من هجمات الجويلي عليها واحتلالها أثناء خروجهم لقتال العثمانيين[٤] .

٤- فتنة بني حرام ووائل سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

أدى اشتراك عربان بني سعد وبني وائل في صراع المماليك على سلطنة محمد بن قايتباي سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، إلى إثارة الفتنة بينهما، وامتدت لتشمل عربان غزالة القاطنة في بر الجيزة. ويتلخص الصراع بين أقطاب المماليك فيما يلي:

---

(١) ابن إياس، بدائع،ج٣، ص٢٢١.

(٢) الدوادار: هو الامير المسؤول عن تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغه عامة الامور، والمشاورة على من يحضر إلى الباب، وتقديم البريد كما يقدم للسلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية في المناشير والتواقيع، انظر المقريزي، خطط، ج٣، ص٣٦١. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٠.

(٣) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٢٣٠، ٢٣٢.

(٤) ن.م. ج٣، ص٢٥٣.

في أواخر سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م)، وقبل إعلان وفاة السلطان قايتباي، انتزع قانصوه خمسمائة وكرتباي الأحمر السلطة من تمراز الشمسي أتابك الجيش، وآقبردي الدوادار، فقبضا على الأول وأرسلاه إلى سجن الإسكندرية، وتمكن الثاني من الفرار إلى غزة. ثم إنهما أسرعا بإعلان تولية محمد بن قايتباي البالغ من العمر أربعة عشر عاما السلطنة، وانفردا بالسلطة، بعد أن تولى قانصوه خمسمائة الاتابكية، وقرر في الوزارة والاستادارية زميله كرتباي الأحمر[١].

وعند ظهور آقبردي في الشام والتجاء مماليكه إليه هناك، جرى تحول في الصراع. فخُلع السلطان الناصر، وتولى قانصوه خمسمائة السلطنة. فانقسم المماليك وأصبحوا فرقتين، فرقة مع قانصوه خمسائمة، وفرقة مع قانصوه الأشرفي خال السلطان الذي تمترس في القلعة ورفض سلطنة قانصوه خمسمائة. فدارت مواجهات بين الطرفين لم تسفر عن شيء رغم محاصرة القلعة من قبل قانصوه وأتباعه لأكثر من شهر. فانسحب قانصوه خمسائمة، وتوجه إلى غزة للقضاء على آقبردي المقيم فيها. غير أن الطرفين التقيا قرب خان يونس، ودار بينهم قتال انهزم فيه آقبردي والتجأ إلى مدينة خان يونس، حيث تمت محاصرته فيها طيلة النهار.[٢]

وجاء آقباني نائب غزة –حليف آقبردي– ومعه نائب طرابلس، وإبن نبيغة شيخ بني حرام ومجموعة من عربانه إلى خان يونس، ففكوا حصار آقبردي بعد معركة جرت بين الطرفين، قتل فيها قانصوه خمسمائة وأُسر عدد من أصحابه، فحُملوا إلى القاهرة، لكن السلطان الناصر –الذي استعاد السلطنة بفضل خاله الأشرف– أمر بقتلهم قبل دخولهم إلى القاهرة، فسلم آقبردي الأسرى إلى شيخ العرب أحمد بن قاسم في الخطارة[٣] ، فحملهم إلى فاقوس حيث قتلهم هناك ورمى جثثهم في بئر مهجورة[٤] .

---

(١) البدر الزاهر (منسوب لابن الشحنة) ص٤١-٤٣. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) حول صراع المماليك على الناصر محمد بن قايتباي انظر البدر الزاهر (منسوب لابن الشحنة)، ص٥٩-٩٠. إبن إياس، بدائع، ج٣، ص٣٤٦-٣٥٠.

(٣) الخطارة، من أعمال الشرقية قرب فاقوس، محمد رمزي، القاموس، ق٢، ج١، ص١١٢. وانظر الخريطة.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٣٥٠-٣٥٦.

عاد آقبردي من الصعيد وكان قد رحل إليه مبتعداً عن التورط بفتن المماليك الجلبان[1].

وفي شوال سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) بدأت المواجهة من جديد بين المماليك الذين "صاروا في ثلاث فرق": فرقة مع آقبردي وفرقة مع قانصوه خال السلطان، وفرقة المماليك الجلبان، وبدأت التحرشات بين المماليك بهجوم مماليك الأشرف قانصوه على بيوت آقبردي ونهبها قبل دخول آقبردي إلى القاهرة[2].

ولما بدت بوادر المواجهة بين آقبردي وخال السلطان، رأى آقبردي ان يوسع تلك المواجهة، ويشرك فيها أنصاره من قبائل العرب. فلجأ إلى الإستعانة بعرب بني وائل وغزالة، وزين لهم الإشتراك معه في مواجهة خصومه، ورغبّهم في ذلك، وطلب منهم القدوم إلى القاهرة للسيطرة على المنطقة الواقعة ما بين القرافة والصليبية إلى قناطر السباع[3]، ولما وصل "العربان" باب الزغلة صاروا ينهبون الدكاكين ويعرون الناس، وحدثت بينهم وبين المماليك مواجهة قتلوا فيها من المماليك السلطانية اثنين وعدداً من الغلمان، ثم انسحبوا.

رأى قانصوه الأشرفي -خال السلطان- ما حدث، فاستعان ببني حرام مستغلاً عدائهم التقليدي لبني وائل، فأحضرهم، وجعل العرب في مواجهة بعضهم، ودارت بين الطرفين حرب ضروس، استمرت عدة أيام، دون أن تسفر عن تفوق أي منهما. ويصف ابن إياس تلك الفتنة بقوله: "فصار الأتراك يتّقعون مع بعضهم، والعربان مع بعضهم.. وصار كل يوم يُقتل من طوائف العربان مقتلة عظيمة... فكانوا يدخلون برؤوس القتلى آخر النهار في شباك التبن، فقُتل في هذه المعركة من العربان زيادة على ألف انسان"[4].

---

(١) الجلبان، هم المماليك الصغار الذين يفضل شراءهم السلطان. واللفظ يعني جلبهم من بلاد أخرى. انظر البقلي، مصطلحات صبح الاعشى، ص١٦.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٢٣، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٣) قناطر السباع، انشأها الظاهر بيبرس، ونصب عليها تماثيل حجرية على هيئة السباع، أنظر المقريزي، خطط، ج٣، ص٣٣٨.

(٤) ابن اياس، بدائع، ج٣، ص٣٦٥-٣٦٧.

ويمكن الاشارة هنا إلى أن المماليك لم يكونوا يتورعون عن استخدام كل السـبل التـي توصلهم إلى غاياتهم، حتى ولو أدت لإثارة الأحقاد والفتنة. وقد انتهى هذا الصراع بفشل آقـبزدي في انتزاع السلطة من قانصوه الأشرفي وابن أخته السلطان، بعد أن حاصر القلعة مدة تزيد علـى الثلاثين يوما، ثم رحل إلى الشام، وكادت إحدى طوائف بني حرام أن تقتله في الشـرقية عندمـا مرّ من ديارهم إلى الشام، بسبب الفتنة التي أثارها بينهم وبين بني وائل، والتـي اسـتمرت فـي الشرقية حتى أواخر سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، ولم تهدأ إلا بعد خروج قانصوه الأشـرفي خـال السلطان إلى الشرقية وإقامته السرحة هناك[١].

٥- حركة عربان البحيرة سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)

عاشت البلاد أثناء فترة حكم السلطان محمد بـن قايتبـاي (٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٥-١٤٩٨م)، في ظل ظروف غير طبيعية، كثرت فيها ثورات المماليك، والممـاليك الجلبـان[٢] . وكان لصغر سن السلطان -الذي تولى السلطنة ولم يتجاوز عمره الرابعة عشرة- وغرقـه فـي اللهو، وعدم التفاته إلى الحكم وأمور البلاد، أثره الكبير في اضطراب الأحوال، واندلاع الثـورات التي لم تسلم فيها ممتلكات القبائل العربية، من النهب والمصادرات[٣] .

وفي السنة التي سبقت قيام هذه الحركة، أي سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، كـانت البـلاد تعاني من جور المماليك، وبطش الجلبان وكثرة اعتداءاتهم، وقد وصف إبن إياس الوضـع فـي ذلك الحين، فقال: "وصار الطعن عمالا، والمماليك جائرة في حق الناس بالاذى"[٤] .

وفي ظل هذه الظروف امتنع زعماء البحيرة والغربية من أداء الخراج، معلنيـن بذلـك التمرد على الدولة. ففي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، تحالفت قبائل الغربية بقيادة حسن مرعي، مـع قبائل البحيرة بقيادة محمد الجويلي، على العصيان، وأعلنوا رفضهم دفع الخراج، وعدم تمكيـن

(١)ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٣٧٥، ٣٩٣.
(٢) انظر ثورات المماليك في الفترة ما بين ٩٠١-٩٠٤، في ابن اياس، بدائع، ج٣، ص٣٣٣-٣٧٦.
(٣) ن. م. ج٣، ص٣٩٣.
(٤) ن.م. ج٣، ص٣٨٨. وانظر ص٣٨٩-٣٩٠.

أرباب السلطة من تحصيله. ويذكر ابن إياس ان الجويلي "حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغربية هذه السنة"[1] . ولما علم الجويلي بعزم الدولة على إرسال حملة عسكرية إلى البحيرة، أوعز إلى القبائل في الغربية والبحيرة بنهب البلاد وتخريبها، فأمر السلطان بإرسال حملة على وجه السرعة لتأديب "العربان" وإعادة الأمن والإستقرار إلى البلاد. لكن أكثر الأمراء المماليك لم يوافقوا على الخروج وتجاهلوا أمر السلطان، بسبب الفتن الداخلية فيما بينهم. فقد كانت أحوال المماليك في مصر مضطربة بسبب ظهور آقبردي وحلفائه في الشام، وبسبب ثورات الجلبان في القاهرة[2]، وخروج حملة لقتال القبائل في ظل هذه الظروف غير مؤتمن العواقب.

وتعذر خروج الحملة حتى منتصف ربيع الأول، أي بعد أربعين يوما من أمر السلطان بقيامها، وجاء خروجها هذه المرة بأمر صارم وجهه السلطان لطومان باي الدوادار، بعد أن عنفه وقال له: "أخرج في هذه الساعة على جرائد الخيل إلى جهة البحيرة"[3]، فخرج طومان بلي من يومه إلى بر الجيزة منتظرا توافد العسكر عليه في الجيزة. ويبدو أن الحظ لم يخدم طومان باي في متابعة مسيره إلى البحيرة، حيث اغتيل السلطان على يد جماعة من المماليك، أعدوا له كمينا في الجيزة بالقرب من معسكر طومان باي وقتلوه. عند ذلك غير طومان باي وجهته، وذهب إلى الصعيد للسرحة، فكبس هناك عربان غزالة وصادر ممتلكاتهم من المواشي والخيول، وأرسلها إلى القاهرة[4]، الأمر الذي أدى لانتقامهم من المماليك في المعيصرة.

---

(١)ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٣٩٨

(٢) ن.م.، ج٣، ص٣٩٨-٤٠٠.

(٣) ن.م، ج٣، ص٤٠١.

(٤) ن. م. ج٣، ص٤١٦.

الغلمان والعبيد، هذا بالإضافة إلى جرح أعداد من بقية العسكر تزيد علـى الأربعمائـة، علـى رأسهم قادة الحملة الأربعة. واستولى عرب غزالة على كل ما كان بحوزة المماليك من الأمـوال والأسلحة[١] .

ونتيجة لما حدث للمماليك في هذه الموقعة، رأى المماليك أن هيبتهم فُقدت أمام العـرب، فأمر السلطان قانصوه الاشرفي بإرسال حملة على الفور للثأر من العرب، لكن هذه الحملة لـم تعثر على عربان غزالة، وإنما وجدت جثث القتلى من عساكر المماليك ملقـاة علـى الأرض، فأرسلوا يطلبون النعوش من القاهرة لنقل الجثث. ويصف ابن إياس حالة القاهرة في ذلك اليـوم بقوله: "وصار يوم العيد مثل المأتم" من كثرة القتلى والجرحى في هذه الموقعة[٢].

وكان وقع هذه الموقعة شديداً على المماليك، حتى أنها أعادت إلى أذهانهم ما حل بهم في وقعتهم مع بدر بن سلام سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، أيام سلطنة الظاهر برقوق.

أما عربان غزالة فإنهم عادوا إلى الصعيد، خاصة وأنهم علموا بعـودة طومـان بـاي الدوادار إلى القاهرة، ولكن الأمير المذكور، بلغه ما حل بالمماليك، فعاد للوجه القبلي، وبحـث عن غزالة فكبسهم، وقبض على نحو ثلاثمائة منهم، ما بين رجال وأطفال ونساء، فساقهم إلـى القاهرة، "الرجال في زناجير، والنساء والصغار في حبال، وعلقوا رؤوس من قتل من الرجـال في رقاب النساء"[٣] فسمروا الرجال وأشهروهم على الجمال في شوارع القاهرة، ثم علقوهم على أبواب المدينة. وبهذا كما يشير ابن إياس، استطاع طومان باي أن يثأر للمماليك ويستعيد هيبتـهم "بعد أن كادت تنتهك حرمة المملكة، وتبهدلت الأتراك أي بهدلة"[٤] .

---

(١) انظر ابن اياس، بدائع، ج٣، ص٤١٤-٤١٥.

(٢) ن.م. ج٣، ص٤١٥.

(٣) ن.م. ج٣، ص٤١٥.

(٤) ن.م، ج٣، ص٤١٦.

ولقد كان لهذه الحركة، وما صاحبها من أعمال انتقامية من القبائل العربية عامة، ومن غزالة بشكل خاص، أثره الكبير في معاداتهم للمماليك، ووقوفهم إلى جانب العثمانيين عند دخولهم البلاد المصرية.

ويبدو أن المماليك شعروا بالندم "في وقت لا ينفع فيه الندم" على سوء معاملتهم للقبائل العربية، ويتبين هذا من خلال حديث الأمير المملوكي قيت الرحبي أحد مساعدي السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م)، الذي وضح فيه الأسباب التي دفعت القبائل العربية للوقوف بجانب العثمانيين، حينما قال: "إن العربان صارت كلها أعداء لنا وعوناً لعدونا، وليس فيهم من يقاتل معنا ويكافح عنا، لأنه ما منهم أحد إلا من قتلنا إما أباه وإما أخاه وإما ابنه أو ابن عمه، أو أحد أقاربه، وذلك لما كانوا يعصون علينا، فهم الآن كل واحد منهم يطالبنا بثأره القديم، وأما عدونا فإنه قد جاءهم جديد، وليس بينه وبينهم شيء من العداوة، فإنه يذهب إليه أكابرهم فيعطيهم ويرضيهم، ويعلق آمالهم بجزيل المطامع، ويحلف لهم أنه لا يؤذيهم ولا يقتل منهم أحداً ولا يأخذ منهم خراجاً"[1] .

٦-حركات القبائل في عهد السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)

اتبع السلطان الغوري سيرة من سبقه من سلاطين المماليك في معاملة القبائل العربية. واستمرت معاناة القبائل ولم تتحسن أحوالها إن لم تكن قد ساءت. فالحملات المملوكية المتعاقبة على الشرقية، و الغربية، و البحيرة، بحجة القضاء على حركات التمرد، أو بحجة جمع الأموال والخيول لتجهيز الحملات العسكرية لقتال الأعداء، أنهكت القبائل العربية، وأبقت ممتلكاتها عرضة للنهب والمصادرات.

---

(١) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص١٢٨، ١٢٩، وانظر ص ٩١، ١٢١، ١٢٢، ١٣٦.

ففي سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م)، ثارت قبائل الشرقية على الكاشف وقتلوه، ولما عجز الكاشف الجديد عن تحصيل أموال المقطعين، اختار السلطان أحد مماليكه، وهو نانق الخازن، وأرسله إلى الشرقية والغربية ليستوفي الأموال، فلما توجه اليهما، ضيق على الناس "وفحص عن اصل خراج كل حصة وما تعمل في كل سنة من الخراج"[1]، الأمر الذي أدى لاضطراب الأحوال، وزيادة العصيان. وعلى أثر ذلك عين السلطان الأمير قانصوه بن سلطان جركس كاشفا على الشرقية، ولكن هذا الكاشف عاد بعد أربعين يوما من وصوله هناك، بسبب ازدياد العصيان، وامتناع امراء القبائل العربية من مقابلته، حتى أنهم سخروا منه وسمّوه "هات لبن" فعاد من الشرقية بغير طائل[2] .

طلب السلطان الغوري كبار امرائه، وعقد مجلسا عسكريا، انتهوا فيه إلى إرسال ثلاث حملات عسكرية إلى الشرقية والغربية والبحيرة "لمحاربة العربان وطردهم من البلاد"[3]. وجرت في الشرقية مواجهات عنيفة بين الطرفين، انهزمت فيها الحملة المملوكية، وطلب قائدها النجدة من السلطان، فأنجده بحملة أخرى، قادها الأمير تمر الزردكاش، فحاصروا عرب الشرقية، وانتقموا منهم، مستخدمين معهم أشد أنواع القتل والتنكيل. "ثم إن الأمراء الذي توجهوا إلى محاربة العربان في الشرقية والبحيرة صاروا يقطعون رؤوس شباب العرب، ويرسلونها إلى القاهرة في شلف التبن على الجمال"[4] كما استخدموا المناشير في تقطيع أجسادهم، وسلخوا بعضهم أحياء، وقتلوا منهم ما يزيد على الألفي إنسان حتى اخضعوا البلاد[5].

---

(١) ابن اياس، بدائع، ج٤، ص٢٤.

(٢) ن.م. ج٤، ص٢٥.

(٣) ن.م. ج٤، ص٥١-٥٢.

(٤) ن.م. ج٤، ص٥١-٥٢.

(٥) ن.م.ج٤، ص٥٢.

لكن القبائل العربية؛ ونتيجة لمعاناتها من سوء تصرف المماليك، عاودت تمردها وظلت أحوال الشرقية والغربية مضطربة حتى سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م)، وتوجهت لهما خلال هذه السنوات عدد من الحملات العسكرية، ورجع أغلبها عن هذه القبائل بغير طائل[١].

٧- تحالف القبائل العربية في البحيرة سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م)

عانت معظم القبائل العربية في الوجه البحري، وخاصة في الشرقية والبحيرة والغربية، ما لا يحتمل من القهر والعسف من السلطان الغوري وأمرائه المماليك.

ففي سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) قامت حملة عسكرية للشرقية لتأديب العربان من بني وائل، وطردهم، ولكن هذه الحملة رجعت بغير طائل، ولم تحقق المكاسب المرجوه من مثل هذه الحملات من المصادرات والنهب. فقرر السلطان الغوري شنق أحمد بن مهنا شيخ بني وائل ومجموعة من أقاربه كانوا مسجونين عنده في سجن المقشرة بتهمة الهروب من السجن، فأشهروا على الجمال وطيف بهم في شوارع القاهرة، ثم شنقوا على باب النصر[٢].

وفي جمادي الاخرة من نفس السنة، أي بعد أقل من شهرين من مقتل شيوخ بني وائل، قرر السلطان الغوري توسيط شخصين آخرين من عربان الشرقية، بحجة الشروع في إثارة الفتنة، وهم عُبيد بن أبي الشوارب وقاسم الغريب. كما قبض في السنة التالية على الشيخ عبد الدايم بن أحمد بن بقر، أحد زعماء الشرقية، بحيلة دبرها كاشف الشرقية، وأرسله إلى السلطان الذي أودعه في سجن البرج.

---

(١) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٧٢، ٩٦، ١٠٤، ١٤٦، و ج٥، ص ١١٥.

(٢) ن.م. ج٤، ص١١٦.

وفي سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م)، قرر السلطان الغوري شنق عمر بن موسى النفعي، أحد أعيان ثعلبة والذي يصفه ابن إياس بالشيخ الجليل و "أحد شجعان العرب"(١) .

وفي مستهل سنة (٩١٧هـ/١٥١١م)، وجه السلطان الغوري دواداره الكبير الأمير طومان باي، على رأس حملة إلى الشرقية والغربية، لجمع الأموال "فأهلك الحرث والنسل، وأفرد على سائر البلاد التي في الشرقية والغربية الأموال الجزيلة، حتى أفرد على بلاد الأوقاف التي على الجوامع والمدارس، وما حصل على الناس بنزوله البلاد خيرا"(٢) .

وقرر السلطان في جمادي الآخرة من نفس السنة، قتل تسعة أشخاص من مشايخ العربان توسيطا، كانوا في سجن المقشرة، وخططوا للهرب(٣) . وإذا أضيف إلى ذلك سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيش في ظلها القبائل العربية، فإنه ليس من الغريب أن تتحالف هذه القبائل للثورة على طغيان المماليك، والتخلص من حكمهم.

ففي سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م)، تحالفت سبع طوائف من "عربان" الوجه البحري بزعامة محمد الجويلي زعيم البحيرة، وحسن بن مرعي زعيم الغربية، واتفقوا بأن "يكونوا كلمة واحدة على العصيان"، وعدم تمكين أرباب الدولة من تحصيل الخراج، خاصة وأنهم علموا بنية السلطان في تحصيل المقرر عليهم من الخراج قبل موعد استحقاقه(٤). وشاركت "عربان" غزالة في هذا التحالف انتقاما لما حل بهم من مصائب على يد طومان باي في السنوات السابقة، فزحفت باتجاه البحيرة، ونهبت ضياعها، وأفسدت زروعها(٥) .

(١) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص١١٦، ١٢١، ١٤٥، ١٩٤.
(٢) ن.م. ج٤، ص٢١٠.
(٣) ن.م.، ج ٤، ص٢٣٨.
(٤) ن. م ج٤، ص٢٥٦-٢٦٢.
(٥) ن.م.، ج٤، ص٢٥٦.

وأمر السلطان بإرسال حملة عسكرية إلى البحيرة، لإخماد الفتنة، فلم يبادر أكثر الأمراء إلى الخروج تحاشيا من مواجهة تحالف القبائل العربية من جهة، وحرصا على سلامة ممتلكاتهم واقطاعاتهم من هجمات العربان من جهة أخرى. فاضطر السلطان إلى الخروج بنفسه، وبصحبته الخليفة والقضاه الأربعة، وشرع بعمل الحراقات النفطية وتجهيز الخيول والجمال والسقايين، لكنه عاد وغير رأيه بسبب ما ورده من أخبار عن دخول عساكر إسماعيل الصفوي إلى مدينة البيرة[١] وانضمام جماعة من عساكر المماليك إليهم، فكلف الأمير طومان باي الدوادار، وخاير بك كاشف الغربية، وعددا من الأمراء المقدمين، بالخروج على رأس حملة كبيرة إلى البحيرة[٢].

وعلى الرغم من تأكيد ابن إياس على خروج الخملة، إلا أنه لم يتحدث عن مواجهات وقعت مع العرب، الأمر الذي يدل على التراجع المملوكي أمام عرب غزالة، وانتهاجهم سياسة تهدف إلى تهدئة الوضع، وامتصاص الغضب. وعندما عاد عرب غزالة إلى الجيزة سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) جهز السلطان دواداره الكبير الأمير طومان باي لقيادة حملة كبيرة، لدفع غزالة عن الجيزة، لكنه نصح بصرف النظر عن ذلك، خوفا من أن تقوم غزالة بنهب وتخريب الجيزة برمتها، فرجع السلطان الغوري عن عزمه[٣].

وتواصلت ثورات القبائل العربية احتجاجا على التعسف المملوكي ضدها طيلة السنوات المتبقية من حكمهم. ففي ربيع الأول من سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م)، ثارت قبائل الغربية، احتجاجا على تعيين مصر باي كاشفا على الغربية بعد أخيه جانبلاط الذي توفي. ولما توجه الكاشف الجديد إلى الغربية، منعته القبائل من تسلم عمله، وطردته من الغربية، بعد ان حاصرته وقتلت

---

(١) البيرة: بلدة بين حلب والثغور الرومية، انظر الحموي، معجم، م١، ص٦٢٥.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٤، ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٣) ن.م.، ج٤، ص ٢٥٦-٢٥٨.

عدداً من أتباعه، الأمر الذي دعى السلطان إلى تعيين كاشف آخر توجه إلى الغربية، وصحبته هذه المرة حملة عسكرية، كي تمكنه من تسلم عمله، وتعيد الأمن والإستقرار إلى الغربية(١).

وأدى مقتل صالح بن قرطام ابن شيخ بني حرام في الشرقية على يد الكاشف قانصوه العادلي سنة (٩١٩هـ/١٣١٣م)، والتمثيل به في القاهرة -حيث قطعت رأسه وسلخ، وحشي تبناً وطيف به في شوارع القاهرة- إلى عصيان بني حرام وبعض قبائل الشرقية، فنهبوا الأسواق، وقطعوا جسر الحلفايه، "فساحت الأرض في غير مستحقة"(٢) انتقاماً من المماليك.

وكان لجور المماليك وعسفهم بحق القبائل العربية في الشرقية، دوره الكبير في انتقام هذه القبائل منهم بعد هزيمتهم في مرج دابق. إذ لما أرسل السلطان الغوري حملة استطلاعية إلى حلب لمراقبة ما ستسفر عنه المواجهات بين العثمانيين والصفويين، قام قائد الحملة الأمير قاني باي الرماح -والذي يصفه ابن إياس بالظالم والفاسد- أثناء مروره في الشرقية بمصادرة كل ما تطاله يده من أموال الأهالي، فصادر أكثر من ثلاثين ألف رأس من أغنامهم، وكان يقتل كل من يجده من العربان والفلاحين الضعفاء، "فكان إذا ظفر بأحد من الفلاحين يوسطه أو يسلخه من رأسه إلى عند أقدامه، وربما صنع ذلك بجماعة من الأشراف، وزعم أنهم من العربان العصاة"(٣) .

ولما علمت هذه القبائل بأخبار هزيمة المماليك في مرج دابق سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، هجمت على الشرقية ونهبت ضياع السلطان والدوادار، واستولت على اربعمائة رأس من اغنامهم(٤) .

---

(١)ابن إياس، بدائع، ج ٤، ص ٣٠٥.

(٢) ن.م.ج ٤، ص ٣٢٤.

(٣) ن.م، ج٤، ص٤٥١.

(٤) ن.م. ج٥، ص٧٩.

وفي أواخر شعبان من نفس السنة، وبعد أن تأكد خبر موت السلطان الغــوري، أشــعل أحمد بن بقر أمير العرب في الشرقية، الثورة على المماليك، فطرد أرباب الدولة الذيــن كــانوا فيها، واستولى على أموالهم وممتلكاتهم، حتى قيل أنه استولى على أموال التجار، وأحكم مراقبته على المنطقة الواقعة بين قطيا والصالحية، في محاولة منه لمنع عساكر المماليك من العودة إلى القاهرة(١).

ومن خلال استعراض حركات القبائل العربية في الوجه البحـــري، يتبيــن أن معظــم حركاتهم كانت تقع عقب ظروف اقتصادية وسياسية مضطربة، كتلك التي شهدتها البــلاد فــي أواخر الدولة المملوكية البحرية، إذ أدت صراعات المماليك السياسية إلــى تدهــور الأوضــاع الاقتصادية، وألحقت الضرر بالقبائل العربية من خلال زيادة المقــرر عليــها مــن الضرائــب والمكوس. وكانت حركة قبائل البحيرة سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) احتجاجا على تلك الزيادة.

كما كانت عقوبة المصادرات الجماعية على القبائل العربية لصالح المنفعــة الشــخصية لأرباب الدولة المملوكية، تمثل أقصى صور الظلم والتعسف الذي يقع على القبائل العربية.

وأدى تمادي الدولة المملوكية في فرض الأموال على القبائل العربية في أوقات الحاجــة وبحجة التجهيز لقتال الأعداء، إلى تدهور أحوال القبائل الاقتصادية، كما حدث فــي الســنوات (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) و (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، حينما لجأت الدولة إلى جمع الخيول والأموال بالقوة من هذه القبائل.

وكان تطلع امراء القبائل العربية باستمرار للتخلص من حكم المماليك، يدفعهم للمشاركة في بعض ثورات الأمراء المماليك المنشقين، كثورة شيخ ونوروز ســنة (٨١٥هـــ/١٤١٢م)، وحركة العنابي ومماليك بركة ضد السلطان برقوق سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م).

---

(١)ابن إياس، بدائع، ج٥، ص٨١-٨٢.

وأدى استفحال ظاهرة التآمر السياسي بين أمراء المماليك ضد شخص السلطان والتجائهم للقبائل العربية، إلى إثارة الفتنة بين هذه القبائل، كما حدث مع "عربان" بني حرام ووائل سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

ونتيجة لعدم التفات السلطة المملوكية لمعاناة بعض القبائل العربية خاصة في مواسم الجفاف، وعدم تمكينها من استخدام المراعي الطبيعية في بعض المناطق إلا بعد الحصول على الأموال، دفع هذه القبائل إلى التمرد ومهاجمة الأرياف والفلاحين.

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية

لم تنل الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية الاهتمام الذي نالته طبيعة حياة المماليك، عند المؤرخين المعاصرين لفترة الدراسة، إلا أنه يمكن من خلال الروايات القليلة تلمس بعض المعالم حول حياة القبائل العربية في ظل الدولة المملوكية. فيلاحظ أن حياتهم اتسمت بالحيوية والنشاط، على الرغم من الاضطهاد الذي مارسه المماليك ضدهم. فلم تكن حياة القبائل العربية منعزلة كما كانت حياة المماليك الذين كونوا مجتمعاً منغلقاً ظل غريباً عن المجتمع العربي في مصر طوال فترة حكمهم[1].

وقد ساهمت القبائل العربية في تنمية موارد البلاد، من خلال مشاركتها الفعالة في مختلف نواحي الحياة، الأمر الذي انعكس إيجابياً على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

ففي مجال الزراعة، اهتم أبناء القبائل العربية وأمراؤهم في الوجهين البحري والقبلي في استصلاح الأراضي وزراعتها. فطوروا الزراعة والصناعات الزراعية أكثر مما فعل الفلاحون، إذ أنهم أداروا أراضيهم بعناية أكبر، وبشكل أفضل مما اعتاد عليه الفلاحون[2]، حيث أنشأوا في إقطاعاتهم المباني، وأجروا فيها السواقي، وأقاموا الدواليب ومطاحن الحبوب[3].

وقد تركزت لديهم زراعة الحبوب كالقمح والشعير والذرة، وكذلك محاصيل الأعلاف، خاصة الخضراء منها كالبرسيم، لتأمين حاجات خيولهم ودوابهم[4].

---

(١) طرخان، النظم، ص ٥٥٨، عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٥٧.

(٢) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ١٩٧.

(٣) انظر: اليوسفي، نزهة، ص ٣٤٣، المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤٨٩، الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٩٠-١٨٩٢.

(٤) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص٢٠٤.

واستخدمت القبائل العربية في زراعتها، نوعاً من السماد يسمى " السّباخ" [١]،وهو عبارة عن رماد وأتربة تستخرج من أنقاض المساكن القديمة، ويحتوي على نسبة كبيرة من نترات الصوديوم[٢].

كما اهتمت القبائل العربية في مصر في الوجهين بزراعة الأشجار المثمرة بمختلف أنواعها، وخاصة أشجار النخيل[٣].

أما قصب السكر، فيعود الفضل في زراعته إلى العرب الذين طوروا صناعته حتى أصبح عندهم المحصول الرئيسي الثاني بعد القمح[٤]، فاستخرجوا منه مادة السكر بعد عصره بواسطة الدواليب التي أقاموها لهذا الغرض[٥]، الأمر الذي عاد عليهم بالمنفعة والثراء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدداً من زعماء القبائل العربية في الوجه البحري، كوّنوا ثروات كبيرة من جراء اشتغالهم بالزراعة، وتعرّض الكثير منهم لمصادرة الأمراء المماليك، الذين لا يروق لهم اتساع نفوذ أمراء القبائل العربية وثرواتهم. فقد صادر السلطان محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) أملاك مقداد بن شماس أحد أمراء العرب في الصعيد سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م)، ونقله إلى الوجه البحري، وأسكنه قرب خليج الإسكندرية، "فعمّر الجهات التي أقام بها، وأنشأ البيوت والسواقي والدواليب"، واستطاع أن يجني ثروة، فاقت ما كان لديه قبل مصادرة أملاكه في الوجه القبلي[٦].

---

(١) المقريزي، خطط، ج١، ص ١٦٤.

(٢) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ١٩٧.

(٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣١٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧. علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص٢٠٤.

(٤) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ١٩٧،٢٠٤.

(٥) اليوسفي، نزهة الناظر، ص ٣٤٥، المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤٨٩. المقريزي، البيان، ص ٥٨.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤٨٩.

ومن أمراء القبائل العربية الذين جاءت ثرواتهم من اشتغالهم في الزراعة الأمير جويلـــي بـــن سلمان من بني عونه في البحيرة، الذي ورث أولاده الجـــاه والـــثراء[١]، فأنشـــئوا القصـــور، والمدارس، والزوايا، وأقاموا الدواليب ومطاحن الحبوب، " ورتبوا الرواتب من العســـل والأرز لمن يرد عليهم من أكابر أهل مصر وأصاغرها"[٢].

وفي مجال التجارة، كان لأبناء القبائل العربية في الوجه البحري، دورهم المؤثر في تنشيط هـذا القطاع، من خلال اشتغالهم به، كتجار ووسطاء، ناقلين لعدد من السلع التجارية، كالبلح، والسكر ، والملح، وفحم السنط، والنطرون[٣]، والشّب[٤] إلى أسواق مدن الوجه البحري الكبيرة، كبلبيس، ودمنهور، والإسكندرية وغيرها، كما تعتبر تجارة الماشية والخيول، ودواب الحمـــل كالجمـــال والبغال، من أهم تجاراتهم[٥].

وقام أبناء القبائل العربية بتأجير جمالهم للفلاحين لنقل غلالهم، ولمتعهدي مواكب الحجيج، فـــي موسم الحج، إضافة إلى عرض منتجاتهم من الصوف والشعر و الوبر والجلود، ومنتجاتهم مـــن الألبان كالسمن والزبد والجبن والإقط في أسواق المدن في الوجه البحري[٦].

ولقد استغلت بعض القبائل العربية مزورها بوادي بحـــيرات النطـــرون فـــي نواحـــي الطرّانة[٧]، اثناء تنقلها سعياً وراء الماء والكلأ، فحملت منه كميات من الملح من أجل المقايضـــة في شراء البلح من غيرهم من القبائل.[٨]

---

(١) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٩.

(٢) ن.م. ج٣، ص ١٨٩٠-١٨٩١.

(٣) النطرون: مادة تستخدم في تبييض الكتان، وصناعة الزجاج، عن هذه المادة انظر ابن مماتي في قوانيـــن الدواوين، ص ٣٣٤. المقريزي، خطط ج١، ص ١٧٦. علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ٥٠.

(٤) الشّب: مادة حجرية تدخل في صناعة الأصباغ ودباغة الجلود، انظر الزبيدي، تاج العروس، مادة (شـبب)، وانظر ابن مماتي، قوانين، ص ٣٢٨. المقريزي ، خطط، ج١، ص ١٧٦.

(٥) علماء الحملة، وصف مصر، ج٢، ص ٢٠٥.

(٦) الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص ٢٨٠.

(٧) بلدة عن الجانب الغربي لفرع رشيد، وبالقرب منها إلى الغرب يقع وادي النطرون، انظر ابـــن فضـــل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١. ابن دقماق، الانتصار، ص ١٠٣.

(٨) علماء الحملة، وصف مصر، ج١، ص ١٢٢.

كما استغلوا ازدهار تجارة "الشب" المستخرج من الصعيد في عصر المماليك الجراكسة، فكانوا ينقلونه على الجمال إلى الإسكندرية، فيباع فيها على تجار الأروام[١]، وكانوا ينقلون النطرون، من الفاقوسية في الشرقية، ومن نواحي الطرّانة، إلى الإسكندرية ودمياط والقاهرة[٢].

إن هذا التبادل التجاري التي تقوم به القبائل العربية، لم يقتصر على قبائل الوجه البحري، وانما شمل قبائل العرب القاطنة شمال الحجاز، ويتضح ذلك من خلال حادثة اعتداء "عربان" بني لأم وبني عطية على ركب الحاج سنة ١٥٠١/٩٠٧، في منطقة الأزلم، إذ أن ابن شويته وهو أحد تجار سوق جامع ابن طولون في القاهرة، وكان من ضمن الركب، وله علاقات تجارية مع أولئك "العربان"، تمكن من مصالحتهم، وتخليص الركب من مصادرتهم[٣].

-منح سلاطين المماليك الإقطاعات لزعماء القبائل العربية، الداخلين في طاعتهم واعتبروهم من رجال السيف المقطعين[٤]، طالما التزموا بأداء ما يوكل اليهم من واجبات نظير حصولهم على هذه الاقطاعات[٥].

وتجلت هذه الواجبات في أمرين : الأول أدبي، ويتمثل بقيام المُقْطَع بأداء يمين الولاء للسلطان، بوصفة ولي الأمر القائم، والثاني مادي ويتمثل بأداء الخدمة العسكرية، والقيام بأعمال حفظ الأمن والإسهام في تسهيل النقل والاتصال بين أطراف الدولة، وتقديم خيول البريد، وأداء الالتزامات المالية المتعلقة بالإقطاع، علاوة على إرسال التقادم السنوي من الخيول والجمال.

وظلت كافة الحقوق الأدبية والمادية مكفولة لأمراء القبائل العربية، شريطة وفائهم بهذه الالتزامات، فكانوا يخاطبون بأسلوبٍ معين وبألقاب خاصة مثل "يعلم مجلس الأمير" و "إلى المجلس السامي الأميري" [٦].

---

(١) المقريزي، خطط، ج١، ص ١٧٦.

(٢) ابن مماتي، قوانين، ص ٣٣٤. المقريزي، خطط، ج١، ص ١٧٦.

(٣) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص ٧٨٤، ١٣٨٨.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص ٦٨-٧١، و.ج٧، ص ١٧٥-١٧٧.

(٥) بولياك، الإقطاعية، ص ٣٨-٣٩. طرخان، النظم، ص ١٥٥.

(٦) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ١٠٠-١٠١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص ١٧٦-١٧٧. طرخان، النظم، ص ١٨٩.

وتشير المعلومات إلى أن أمراء القبائل العربية في الوجه البحري التزموا بواجباتهم وشاركوا الدولة خاصة في حروبها مع التتار والعثمانيين وقدموا فرسانهم وخيولهم وجمالهم للدولة في تلك الحروب[١]. كما قاموا بأعمال الحراسة، وحفظ الأدراك[٢]، ووفروا خيول البريد، وساعدوا رجال الدولة في تحصيل الخراج[٣].

وتوزعت اقطاعات القبائل العربية في الوجه البحري على النحو الآتي:

- في الشرقية، كانت إقطاعات بني سعد[٤] في تل طنبول، ونوب طريف، ودقدوس، ومنية غمر ودمريط[٥]. وكان إقطاع بني زيد بن حرام، وهم هلبا مالك، وهلبا سويد، وهلبا بعجه، في فاقوس[٦]، وتل محمد[٧]، وقسم من أراضي هربيط التي تعرف بالأحراز[٨]، وبلغت مساحتها ١١٨٤ فدان[٩].
- في القليوبية: إقطاع معبد بن منازل- وهو من زعماء حيادرة بني الوليد بن سويد- في "منى خثعم"[١٠]. وإقطاعات فزارة في زفيتة، وسندبيس[١١]، وقلقشندة[١٢].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٧. وج٧، ص ١٩٢. الصيرفي، ابناء، ص ٣٦٥. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ١٩٩. ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٦٠٢-٦٢٢. طقوش، تاريخ ، ص ٣٧٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٥٦٦. وج٢، ص ١٣، وج٤، ص ٧٧.

(٣) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٧٢-٢٧٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦، وج١٤، ص ٤٢٢-٤٢٣. القلقشندي، قلائد، ص ٦٥. المقريزي، البيان، ص ٧٢،٢٢. الجزيري، الدرر الفرائد، ج١،ص٢٣٠، وج٢، ص ١٣١٢-١٣١٤.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ٧٤. القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٨٦. المقريزي، البيان، ص ٢١.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك،ص ١٧٤-١٧٥. القلقشندي، قلائد، ص ٦٣. المقريزي، البيان، ص ٢١.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٦٩. القلقشندي، قلائد،ص ٥٨. المقريزي، البيان، ص ٢٣.

(٧) القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. المقريزي، البيان، ص ٢٥.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٤. المقريزي، البيان، ص ٢٦.

(٩) ابن الجيعان، التحفة السنية، ص٤٥.

(١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١١٧. المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(١١) القلقشندي، قلائد، ص ١١٤. المقريزي،البيان، ص ٤٩.

(١٢) القلقشندي، صبح الأعشى،ج١، ص ٣٩٩.القلقشندي،نهاية الأرب، ص ١٧٣.القلقشندي،قلائد، ص ١١٤.

- في دمياط: إقطاع بني عدي، وبني كنانة، في المنطقة الواقعة بين دمياط وساحل البحر، وفي البرلس(١).

- في الدقهلية والمرتاحية: إقطاع الشواكرة في شنبارة بني خصيب(٢)، وعدلان وفي كوم بني مراس(٣). وإقطاع الزهور في أشموم الرمان(٤). أما الحيادرة فكانت اقطاعاتهم في البرمونين، وما حولها(٥).

- في الغربية، إقطاع الخزاعلة في نواحي سخا(٦)، ودرسة، وبطرة(٧).

- في المنوفية إقطاع الأمير حجازي بن بغداد، وكان زمن السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م). في البلدة المعروفة بـ " قصر بغداد" في جزيرة بني نصر(٨).

كما كانت البلدة المعروفة بـ " منى واهلة" مقطعة لزعماء بني واهلة إحدى بطون لبيد(٩).

وكانت إقطاعات القبائل من زنارة، ومزاته، وخفاجة، وهوارة ولبيد، في المنطقة الواقعة بين الإسكندرية وبرقة(١٠)، فكانت إقطاعات أولاد مقدم وأولاد التركية فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى من برقة، وكانت اقطاعات جماعة سلام -وهم فزارة ومحارب وقطاب- ما بين العقبة الكبرى وبرقة(١١).

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٥٦.

(٢) القلقشندي، قلائد، ص ٦٢. المقريزي، البيان، ص ٢٦. ابن الجيعان، التحفة السنية، ص ٣٤.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧٨. القلقشندي، قلائد، ص ٤٨. المقريزي، البيان، ص ٦٣-٦٤.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٧٥. السويدي، سبائك، ص ٤٢٥. المقريزي، البيان، ص ٢٤.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١.

(٦) القلقشندي، قلائد، ص ٨٧. الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٤أ.

(٧) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٥٦، ٣٧٨. السويدي، سبائك، ص ٢٤٩.

(٨) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص ١٦.

(٩) ابن دقماق، الانتصار، ص٩٩. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٤٦، ٤٤٦.

(١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠. المقريزي، البيان، ص ٧٣.

(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٨٠-١٨١. ابن خلدون، تاريخ ، ج ، ص ٤٥٩. المقريزي، البيان، ص ٧٣.

وفي البحيرة كان إقطاع بني عونة إحدى بطون لبيد، في "العطف" وفي "فوة" وما حولها[١].

وقد اتسعت إقطاعات بعض أمراء القبائل العربية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، فزادت عما كانوا يملكون في القرن السابق[٢]، ولعل ذلك يعود إلى أن السلاطين المماليك شدّدوا قبضتهم على العرب الخارجين عن طاعتهم، وعاقبوهم معاقبة صارمة، تتمثل في حربهم وسلب إقطاعاتهم ومنحها إلى أمراء القبائل العربية الموالين لهم[٣].

-وتعرضت ممتلكات القبائل العربية في مختلف أنحاء الوجه البحري، خلال حكم المماليك الجراكسة، إلى النهب أو المصادرات، من قبل السلاطين المماليك أو من كبار أمرائهم. فكان هؤلاء الحكام كلما أعوزهم المال، وجهوا حملاتهم العسكرية إلى الجهات التي فيها القبائل العربية، لتستولي على ممتلكاتهم. وكانوا يبررون فعلهم هذا بتجهيز الحملات العسكرية لقتال الأعداء، أو القضاء على حركات التمرد داخل البلاد، سواء من قبل القبائل العربية، أو من المماليك المنشقين، ومثال ذلك ما قامت به السلطة المملوكية في سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) من توجيه حملة عسكرية إلى البحيرة لقمع حركة عصيان العرب فيها، حيث قامت هذه الحملة بالاستيلاء على ٣٠٠٠ رأس من الأغنام، و ٦٠٠٠ رأس من الأبقار[٤]. كما أمر السلطان الأشرف شعبان (٧٩٠-٧٩٢هـ/١٣٨٨-١٣٩٠م) في سنة (٧٩١هـ/١٣٨٩م) مماليكه بمهاجمة "عربان" الزهور في الشرقية، فصادروا منهم أكثر من ألف رأس من الخيول بعد أن

(١) الخالدي، المقصد الرفيع، ص ١٤٥أ. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٣٨٩. ابن زمبل، واقعة، ص ١٦. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٦، ١٨٩٠، ١٩٨٢.

(٢) إبن إياس، بدائع، ج٥، ص ٩٠. الدوري، مقدمة، ص١٠٧.

(٣) بولياك، الإقطاعية، ص ٨٣-٨٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ١٣٨. ابن حجر، إنباء، ج٢، ص ٦، ٩. إبن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٣٠٥.

قتلوا أصحابها[١]. وتوجهت حملة مملوكية سنة ١٣٩٨/٨٠١، ونهبت من "عربان" بنـــي وائـــل حوالي مئتي فرس[٢].

وفي سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) تأثرت الحالة الاقتصادية للممـــاليك نتيجـــة الصراعـــات السياسية على السلطة[٣]، فتوجهت عدة حملات عسكرية إلى مختلف جهات مصر في الوجـــهين، لمهاجمة القبائل العربية، ومصادرة خيولها وجمالها وأغنامها[٤]. ورافق السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م)، إحدى هذه الحملات، حيث قصد تروجة إحدى مدن البحيرة، فقبض على عدد من مشايخها، بعد أن أخذ تقادمهم، ويشير المقريزي في ذلك إلى أن الأمـــراء المماليك "ساقوا عشرات الألوف من الأغنام التي انتهبوها من النواحي"[٥]، علاوة على الأعـــداد الكبيرة من الخيول والجمال والجواميس[٦].

وأدت الفتنة التي وقعت بين عرب البحيرة ولبيد سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، إلى نـــزوح "عربان" البحيرة إلى الفيوم، واستغلت عساكر المماليك هذه الفتنة وصادرت مـــا تبقـــى لعـــرب البحيرة من الممتلكات[٧]. وفي السنة التالية (٨١٩هـ/١٤١٦م) توجهت إلـــى البحـــيرة حملـــة عسكرية، ونهبت عدداً كبيراً من خيول العرب وجمالهم وأغنامهم، وحملـــت إلـــى اصطبـــلات السلطان المؤيد ٨١٥-٨٢٤/١٤١٢-١٤٢١ في القاهرة[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٢٤٣. الصيرفي، نزهة، ج١، ص ٢٣٢.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٥٠٩.

(٣) انظر حركة يشبك الدوادار على الناصر فرج بن برقـــوق، المقريـــزي، الســـلوك، ج٦، ص ٣٠١. ابـــن حجر، إنباء، ج٧، ص ١٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٨٧-٨٨.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٠١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٠١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٠٢. ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ١٦. ابن تغري بردي، النجـــوم، ج١٣، ص ٨٧-٨٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٣٩٢.

(٨) الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٣٧١، إبن إياس، بدائع، ج٦، ص ٤٠٩.

وقرر السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، في مستهل عهده أخذ خيول الوجه البحري من أصحابها العرب[١]، كما أرسل في سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) عدداً من الحملات العسكرية إلى الغربية والبحيرة والشرقية من أجل سلب الخيول التي بحوزة "العربان" في تلك الجهات[٢]. وتشير المعلومات إلى أن هذا النوع من الحملات استمر طيلة الفترة فيما بين (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) و(٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٣].

واستمر الحال نفسه في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، حيث توجهت مجموعة من الحملات المملوكية إلى جهات الوجه البحري، بحجة القضاء على حركات عصيان القبائل العربية، فاستولت على ممتلكاتهم من الأموال والخيول والجمال والأغنام[٤].

وفي عهد السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)، اشتهر الأمير طومان باي الدوادار بملاحقة القبائل العربية ومصادرتها[٥]، ففي سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) سافر الأمير المذكور إلى الشرقية والغربية، وأمضى فيهما عشرين يوماً، وعاد للقاهرة محملاً بما سلبه من أموال القبائل العربية في تلك الجهات[٦]. كما قاد في سنة ١٥١١/٩١٧، حملة إلى الشرقية والغربية" فأهلك الحرث والنسل، وأفرد على سائر البلاد التي في الشرقية والغربية الأموال

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ٧٦.

(٢) ن.م.ج٧، ص ١٨٦.

(٣) انظري ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ٣٦٣، ٤٤٤ وج١٥، ص ١٤٥. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ٢٥٩. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ١٨٢.

(٤) الصيرفي، إنباء، ص ٧١-٧٢، ١١٩. ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٢٣٧.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص ٤١٦، وج٤، ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٦) ن.م.، ج٣، ص ٤٢٨.

الأثمان[١]، ثم توجه في السنة التالية ٨٢١-١٤١٨ إلى الوجه القبلي، فأوقع ببعض القبائل العربية وصادر منهم ستة آلاف رأس من البقر، وألفي جمل، وثمانية الآف رأس من الأغنام، علاوة على الأموال والعبيد، فحمل كل ذلك إلى الوجه البحري، " وشرع في رميه على الناس، فعم الضرر أهل البوادي والحواضر"[٢].

أراد الأمير أرغون شاه أحد وزراء السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، التخلص مما لديه من الأبقار الهرمة وغيرها من الدواب، فقام في سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م) برميها على التجار والجزارين، "ففرق أعوانه الظلمة على التجار والجزارين لأخذ ما لديه من الأبقار والماشية".[٣].

ولعل السياسة الاقتصادية المتمثلة في "الطرح والرمي" إضافة إلى الظلم في جباية الضرائب[٤] أدت إلى ازدياد الفقر بين عموم الأهالي، خاصة القبائل العربية، وإلى خراب بعض القرى والأرياف، نتيجة لعزوف الأهالي عن العمل، ورحيلهم عن بلادهم للتخلص من شدة وطأة الحكام وعسفهم في جباية الضرائب، " فالأموال التي جمعها هؤلاء من مظالم العباد، ما منها من دينار إلا وتلف بأخذه عشرة، وتخرب بجبايته من أرض مصر ما يعجز القوم عن عمارته"[٥].

-تعرضت القبائل العربية في الوجه البحري إلى مجموعة من الضرائب والمكوس التي فرضت عليها من قبل الدولة، وزادت من معاناتها، وتمثلت هذه الضرائب والمكوس في:

---

(١)انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤. ابن حجز، أبناء، ج٧، ص ٢٧٢. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٠١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص ٤٣٥. ابن حجر، إنباء، ج٧، ٢٧٢-٢٧٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ٧٩.

(٤) صالحية، مقالة الطرح والرمي، مجلة أبحاث اليرموك، م٩، ع٤، ص ٥١-٥٢.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٦ ص٥٠٥، وانظر ص٤٣٠. المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٤.

-**الخراج**: وهو المبلغ المضروب على رقاب الأرض الخراجية من عين أو غلـــة[١]، أو الاجرة الواجبة على الأرض باعتباره صيغة تعاقدية بين بيت المال والمزارع[٢]. يقول الماوردي (ت ٤٥٠هـ): "أما الخراج فهو ما وضع على رقاب الأرض مـــن حقــوق تــؤدى عنـــها"[٣]. ويساوي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، في المسؤولية بين الجزية والخراج فيقول: أن "الخــراج جزية الأرض، كما أن الجزية خراج الرقاب"[٤]. أ ما ابن رجب الحنبلــي (ت٧٩٥هـــ)، فقــد عرف الخراج بأنه المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات متعددة[٥].

والخراج في مصر ايجار ثابت حسب نوعية الأرض[٦]، والمحصول[٧]. ويقســـم إلـــى قسمين: خراج الزراعة، أو المشاطرة، أو المقاسمة[٨]، وهو ما يؤخذ على المحاصيل الزراعيـة، ويكون عينا وبنسبة محددة على انتاج الفدان، ويبتدئ عامه ببداية شهر توت (٢٨ آب)، وينتــهي في نهاية شهر مسرى (٢٧ آب). أما خراج البساتين وما شاكلها مما يروى علـــى الســواقي أو خراج الراتب أو الوظيفة، فلا يكون إلا نقدا، ويقدر على كل فـــدان مـــن أراضـــي البســاتين المزروعة بالأشجار المثمرة، ويبتدئ عامه ببداية شهر أمشير (٢٥ كانون الثاني)، وينتهي بنهاية شهر طوبة (٢٤ كانون الثاني)[٩].

---

(١) انظر الماوردي، الاحكام، ص١٤٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص١٢٣. عامر نجيب ، الحياة الزراعية، ص٢٨٨.

(٣) الماوردي، الأحكام، ص١٤٦.

(٤) ابن قيم الجوزية، أحكام، ج١، ص١٠٠.

(٥) ابن رجب الحنبلي، الاستخراج، ص٤.

(٦) الدوري، مقدمة، ص١٠٨.

(٧) بولياك، الإقطاعية، ص١٧٩-١٨٠.

(٨) عن طريقة تحصيل الخراج بنظام المقاسمة، راجع الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٨٢. غيداء، خزنة كاتبي، الخراج، ص١٤٠،٢٧٠،٤١٨، ٥٣٨-٥٤٠.

(٩) عامر نجيب، الحياة الزراعية، ص٢٨٨.

وتختلف كمية الخراج المقدرة على كل فدان من فترة لاخرى، فيذكر المقريزي: "كانت قطيعة فدان القمح ببلاد الصعيد في أيام الدولة الفاطمية ثلاثة أرادب(*)، فلما مسحت البلاد في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، تقرر على كل فدان اردبان ونصف، ثم صار يؤخذ اردبان على الفدان، وأما أراضي اسفل الأرض فيؤخذ عنها عين لا غلة"(١).

وتتأثر كمية الخراج المقدرة على كل فدان بكلفة الانتاج، وما يحتاجه المحصول من جهد، فالرطب والكروم من أقل المحاصيل كلفة وأكثرها تعميرا للأرض، فقطيعتها ضعف قطعية المزارع التي تحتاج إلى الحراثة والبذار والدرس. كما تأثرت الكمية بطريقة الري، فالمحاصيل التي تروى سيحا وبالأمطار والانهار مباشرة، تختلف قطيعتها عن التي تروى بواسطة الآت الري. كذلك تأثرت كمية الخراج بحجم الانتاج، فقطيعة قصب السكر الرأس خمسة دنانير(٢)، بينما بلغت قطيعة "خلفته الذي يسمى عقرا دينارين وخمسة قراريط، كون النفقة على الرأس اكثر والمشقة أشد"(٣).

وتتميز بلاد الوجه البحري بأن معظم خراجها نقدا، بينما هو في الوجه القبلي غلال(٤). والسبب في ذلك هو أن البساتين والاشجار المثمرة التي لا يكون خراجها إلا نقدا تشكل معظم محاصيل الوجه البحري، في حين تشكل الغلال التي لا يكون خراجها إلا عينا معظم محاصيل بلاد الوجه القبلي(٥).

(*) الاردب، مكيال مصري للحنطة، ويساوي ٦٩,٦ كغم من القمح، أو ٥٦ كغم من الشعير ، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٥٨.

(١) المقريزي، خطط، ج١، ص١٦٣.

(٢) عامر نجيب، الحياة الزراعية، ص٢٩٣.

(٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٥١، ٥٢٣. المقريزي، خطط، ج١، ص١٦٣.

(٥) عامر نجيب، الحياة الزراعية، ص٢٩٣-٢٩٤.

وعند النظر إلى إقطاعات القبائل العربية في الوجه البحري، يظهر أن أكثر اقطاعاتـــهم تقع في مناطق شبه صحراوية وفي السباخ[1]، ويؤدون عنها الخراج، على الرغـم مـن تدنـي جودتها وقلة إنتاجها. أما إقطاعات القبائل التي تقع في المناطق الزراعية الجيـــدة، كالقليوبيـة والغربية والمنوفية[2]، فإن قيمة خراجها عالية، لأنها تزرع بالأشجار المثمرة وقصب السـكر[3]. وقد بلغت مساهمة القبائل العربية في الوجه البحـــري سـنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م)، ٢٤٣٢٩٦ دينار[4].

- **العشر**: وهو ضريبة تستوفى من إنتاج الأرض بمقدار العشر، أي عشر إنتاج المـزروع[5]، ولا يؤخذ من أهل الذمة باعتباره زكاة الزروع، ولا من صـــاحب الأرض إذا عطلـها[6]. ويستدل على وجوبه بقوله تعالى (وآتو حقه يوم حصاده)[7] وقوله تعالى (وأنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض)[8]. ويستوفى العشر كاملا في حالة اعتماد الزراعـة الكلي على مصادر المياه الطبيعية كالأمطار والأنهار أو الينابيع، أما المزروعات التي تعتمد على الآلات كالسواقي والشواديف[9]، وتحتاج إلى التكلفة والجهـــد، فإنــها تدفـع نصـف العشر[10]. وتجب ضريبة العشر على المحاصيل الضرورية لقوت الانسان، كالحبوب مـن

---

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص ٢٥١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٩. ابـن الجيعـان، التحفة السنة، ص ١٤-١٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ٤٥٨،٤٦٢، ٤٦٦، ٥٢١، ٥٢٣.

(٣) اليوسفي، نزهة، ص ٣٤٤.

(٤) المقريزي، خطط، ج١، ص١٤٠.

(٥) الماوردي، الأحكام، ص ١٥٠-١٥١.

(٦) ابن قيم الجوزية، أحكام، ج١، ص ٩٠-٩١.

(٧) سورة الأنعام، آية ١٤١.

(٨) سورة البقرة، آية ٢٦٧.

(٩) الشادوف: عجلة مائية تستخدم لرفع الماء، انظر الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٣.

(١٠) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٣.

الحنطة والشعير والذرة والأرز، أو القطاني كالعدس والحمص، والباقلاء كالفول واللوبيا، وتجب أيضا على ثمار النخيل والكروم[1]. أما المحاصيل التي لا يجب فيها العشر، فهي الخضروات بأنواعها والرياحين والخردل والسمسم وبزر الكتان، والأشجار المثمرة كالخوخ والمشمش والجوز واللوز والفستق والبندق، والرمان، والزيتون[2].

وقد ألزمت الدولة المملوكية، منذ نشأتها، أمراء القبائل العربية بتحصيل العشر المفروض على الزروع والثمار في الأراضي التابعة لهم، وتوريده إلى خزينة الدولة، إذ ألزم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) في سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٤م) سيف الدين عطاالله بن عزاز بعدما أقره على عرب برقة، بأخذ عشر الزروع والثمار[3].

-**زكاة المواشي**: وتشمل المواشي والإبل والأبقار التي يحول عليها الحول وتبلغ النصاب[4].

ولما كانت القبائل العربية تمتلك أعدادا كبيرة من المواشي والإبل، فقد عمدت الدولة إلى إيفاد موظفيها بين الحين والآخر إلى هذه القبائل، لإحصاء مواشيها وإبلها، وإقرار العداد السنوي عليها. وتشير بعض الروايات إلى أن هذه الإجراءات كانت سببا رئيسيا في إثارة عصيان القبائل العربية، كما حدث سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) عندما ثار عرب البحيرة احتجاجا على الزيادة المفروضة عليهم في العداد[5]، وكذلك أهل برقة الذين امتنعوا عن إرسال المقرر عليهم من زكاة الغنم سنة (٧١٨هـ/١٣١٩م) "فجرد إليهم السلطان الناصر العساكر فتحاربوا معهم وقتلوا منهم جماعة"[6].

---

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٣.

(٢) ن.م. ص ٣١٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٣. وانظر ج١، ص ٥٥٦.

(٤) حول نصاب المواشي والأبل والأبقار، انظر، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١١-٣١٢، ٣٥١-٣٥٢.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ، ج٥، ص ٤٥٩.

(٦) إن إياس، بدائع، ج١، ق١، ص ٤٥٩. انظر الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٣١٠.

وفرضت الدولة ضريبة عداد المراعي على الحيوانات التي ترعى في الأراضي البور، والأراضي التي لا تصلها مياه الفيضان، ويتقرر مبلغ الضريبة وفقاً لعدد المواشي بعد إحصائها[١]. وكان الكُشّاف لا يمكنون "العربان" من استخدام هذه المراعي إلا بعد الحصول على الأموال التي تفرض عليهم، الأمر الذي يؤدي إلى عصيانهم وانتقامهم من هؤلاء الكُشّاف[٢]، ففي سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م)، تصدى كشاف الوجه القبلي " لعربان" لبيد الذين هجروا بلادهم بسبب الجفاف، وتوجهوا إلى الصعيد لرعي الكتيح[٣] من الأراضي البور ولم يمكنوهم من الرعي إلا بعد أن يدفعوا الأموال" فلما أنفوا ذلك لأنهم لم يعهدوه، وأظهروا الخلاف، توجهت إليهم تجريدة صادرت منهم زيادة على ستمائة جمل وعدداً كبيراً من المواشي والأغنام"[٤].

وهناك أنواع من الضرائب لا تخضع لقاعدة معينة، وتلجأ اليها الدولة في حالات استثنائية كالحروب والفتن، أو عند اقامة المشاريع. وتتعرض القبائل العربية في هذه الحالات للابتزاز، فتحت ستار انفاذ الحملات الحربية، او القضاء على التمردات، تفرض الدولة على النواحي والأعمال أموالاً وخيولاً تأخذها بقوة السلاح، كما حدث في السنوات (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) و(٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، عندما فرضت الدولة ضريبة جديدة تسمى الخُمس على النواحي الشرقية والغربية بحجة الإعداد لمواجهة العثمانيين، ويشير ابن إياس إلى الضرر الذي لحق بالأهالي والمُقطَعين نتيجة ذلك بقوله: "فحصل بسبب ذلك للمقطعين غاية الأذى من قطع خمس خراجهم مرتين"[٥] .

---

(١) المقريزي، خطط، ج١، ص١٧٣.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٣٤٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٤٢. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٣١٣.

(٣) هي الأراضي الخالية من المزروعات والأشجار، انظر ابن منظور، لسان العرب مادة (كتح).

(٤) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ٢٨٤-٢٨٥. ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ١٩٢.

(٥) ابن اياس، بدائع، ج٣، ص٢٥٣، ٢٦٩، ٣٣١

ومن الضرائب التي فرضت على القبائل العربية في الوجه البحري ما يعـرف **بمقـرر الجسور**، وهي ضريبة غير محددة وتلجأ الدولة لفرضها عند البدء بإنشاء مشـاريع الجسـور والحواجز المائية، أو عند القيام بتنظيف الخلجان، أو صيانة القناطر، وتستوفى تكـاليف هـذه المشاريع من المناطق المستفيدة منها[١]. فعندما عزمت الدولة سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) علـى تنظيف خليج الاسكندرية، قررت تحصيل مبلغ الفين وخمسمائة درهم من عبرة[٢] كل الف دينار من نواحي الغربية والبحيرة[٣]، حيث توجد إقطاعات بعض الأمراء العرب.

تعرضت أموال القبائل العربية للاستنزاف من خلال رفع نسبة ما يفرض عليـها مـن الضرائب والغرامات والهدايا، فعندما توجه السلطان المؤيد (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) إلى البحيرة في أعقاب فتنة لبيد مع أهالي البحيرة سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، فرض على مشايخها مبلغ مئة وأربعين ألف دينار، تورد للخزينة في مطلع كل عام[٤]، كما كان على أمراء ومشـايخ القبائل العربية أن يقدموا مما عندهم من الخيل، والإبل والطيور والحيوانـات النـادرة، هدايـا للسلطان في أوقات معينة من السنة[٥].

-أما الحياة الاجتماعية للقبائل العربية في الوجه البحري، فتشير المعلومات إلى أن قسماً كبيراً منهم استقر بالأرياف، وامتهنوا الزراعة معاشاً لهم، وساعدهم في ذلك مـا كـان يملكـه امراؤهم من الإقطاعات، وسيطرتهم على مناطق واسعة تمتد إلى الأطراف في جـهتي الوجـه البحري الشرقية والغربية[٦]. ويذكر العمري أنهم: "كانوا أهل حاضرة وزرع ليس منهم من يُنجِد

---

(١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين، ص٢٣٢-٢٣٤. المقريزي، خطط، ج١، ص١٧٨.

(٢) العبرة: معدل الضريبة لسنوات عدة، انظر الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٠. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٢.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٤٢٠. الصيرفي، نزهة، ج٣، ص٣٨٢.

(٤) ابن حجر، إبناء، ج٧، ص ١٦٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٠٧. بولياك، الإقطاعية، ص ١٨٣.

(٦) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص٢٥١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٩، ج٧، ص١٧٦.

ولا يُتهم، ولا يُعرِق ولا يُشئم، ولا يخرجون عن جُدر الجُدران"[١]. فامتلكت جذام كثيراً من المزارع في الشرقية والدقهلية، كما حازت لواته، عددا من الإقطاعات في الغربية والقليوبية والبحيرة[٢].

ويزرع بعض الأُمراء والمشايخ العرب مساحات واسعة من الأراضي، كمقداد بن شماس الذي أنزله السلطان محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) الناصرية قرب خليج الاسكندرية سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م)، فأنشأ فيها البيوت والسواقي والدواليب[٣]. واشتهر إسماعيل بن عامر الجويلي بزراعة البساتين ومحاصيل الحبوب، والاشجار المثمرة في "فوة" إحدى أعمال البحيرة[٤].

وكان قسم آخر من القبائل العربية استقر في مناطق البادية، ومارسوا النمط التقليدي لحياة البداوة المتمثل في تربية الماشية والخيول والإبل، وساعدهم في ذلك وفرة المراعي الجيدة والبيئة المناسبة لدوابهم، كالجماعات التي نزلت في المنطقة الممتدة بين البحيرة وبرقة، يقول العمري: "وهم أصحاب ماشية ودواب سائمة كثيرة من الإبل والغنم، ومنهم من يزرع في بعض أرضها فتخصب زروعها ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع"[٥].

وقد تميزت حياة هذه القبائل بقلة تعرضها للأوبئة والطواعين إذ ليست هناك اشارة واضحة إلى تفشي الطاعون بينهم، وذلك لأن كثافتهم السكانية في المناطق المفتوحة وعلى اطراف الصحراء تحول دون تفشي الطاعون بينهم[٦] وكان الميسورون من الناس كالفقهاء،

---

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٠٠.

(٢) راجع ص ١٠٣-١٠٤، من هذا البحث.

(٣) اليوسفي، نزهة ، ص٣٤٤. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٨٩.

(٤) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص١٨٨٦، ١٨٩٠-١٨٩٢.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، أيمن فؤاد، ج٢، ص١٠٠. ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٠٠، ٢٥١.

(٦) عبد العزيز نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، ص١٣٨.

والقضاة، وبعض امراء المماليك، يرسلون ابناءهم إلى الصحراء، والى الطور خوفاً عليهم من الطاعون، حيث يقال: "ان تلك الجهات لا يدخلها الطاعون"[١].

- وكان كثير من أُمراء القبائل العربية ومشايخهم -نتيجةً لنشاطهم الزراعي والتجاري وما إلى ذلك- على درجة كبيرة من الثروة والغنى ويذكر منهم هنا، الأمير طريف بن مكنون أحد أمراء جذام في الشرقية، والذي بالغت المصادر في وصف كرمه على المحتاجين في أيام الشدة والمحن، وذكرت أنه "كان في مضيفته أيام الغلاء إثنا عشر ألفاً تأكل عنده كل يوم، وكان يهشم الثريد في المراكب"[٢]. ووجد عند ابن زعازع أحد أمراء العرب في الصعيد بعد وفاته " ألف ألف وخمسمائة الف درهم، ما عدا أصناف السكر والعسل، والدواب، والغلال"[٣].

وقد استتبع تلك الثروة حياة اجتماعية باذخة لبعض أمراء القبائل العربية رغم ما كان يمارس ضدهم من مصادرات وضرائب، وتمثلت هذه الحياة في بناء القصور، والأحواش[٤]، واقتناء الجواري والغلمان[٥]، والإكثار من شراء العبيد، والمماليك الروم والأتراك[٦]، حتى أن مقداد بن شماس وجد عنده من الجواري قبل مصادرته سنة (٧١٣هـ/١٣١٤م)، اربعمائة جارية علاوة على العبيد وما كان يملكه من البهائم[٧].

ولعل المكانة الاجتماعية الكبيرة التي تمتع بها بعض أُمراء القبائل العربية، أدت إلى تقرّب أُمراء المماليك منهم، بل إن بعض هؤلاء الأُمراء كانت بينه وبين أُمراء القبائل العربية

---

(١) ابن اياس، بدائع ، ج٤، ص٢٩٨.
(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك، ص ١٧١. القلقشندي، قلائد، ص ٦٠.المقريزي، البيان، ص ١٥.
(٣) اليوسفي، نزهة، ص ٣٤٥ .
(٤) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣ ص ١٨٩٠-١٨٩٢.
(٥) اليوسفي، نزهة، ص٣٤٥.
(٦) القلقشندي، قلائد، ص٥٩. المقريزي، البيان، ص٢٥.
(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٤٨٩.

مصاهرة، ويذكر ابن زمبل أن الأمير يحيى بن أزبك -صاحب بركة الأزبكية- كانت بينه وبين بني حرام -من عرب الشرقية- مصاهرة، والتجأ إليهم بعد هزيمة المماليك في الريدانية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٧م) وأقام عندهم[١].

ومما يدل على مكانة بعض أمراء القبائل العربية وأهميتهم عند بعض السلاطين المماليك، حرص قلة من هؤلاء السلاطين على إرضاء بعض أمراء العرب، وبالغوا في تكريمهم[٢]، وقاموا بزيارتهم في ديارهم في بعض الأحيان، إذ يذكر ابن إياس أن السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، نزل عند الأمير محمد بن برقع أحد أمراء عرب اليسار في الجيزة وأمضى عنده ليلته "فمد له أسمطة حافلة وبات عنده"[٣].

ونتيجة لما يتمتع به بعض أمراء القبائل العربية من الحنكة والتأثير في ضبط الأمن والاستقرار، كان السلاطين المماليك يلجأون لبعضهم فيولونهم المناصب الإدارية المهمة، ففي سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) "استقر شمس الدين محمد بن عيسى أمير العايذ في كشف الشرقية وولايتها عوضاً عن قطلوبغا التركماني"[٤] .

وظهرت في سيرة امراء القبائل العربية عند سفرهم للحج تصرفات مميزة، إذ جرت العادة لمن يسافر منهم ان تكون جماله في ساقة الركب[٥]، "ليحصل بهم نفع للفقراء والمشاة والمنقطعين"[٦]، فعندما حج الأمير جويلي بن سلمان أمير البحيرة في سنة (٩٢٥هـ/١٥١٩م)، أكثر من حمل الماء والزاد، واعتنى بإطعام الفقراء من أهالي مكة وغيرها من الحجاج، حتى

---

(١) ابن زمبل، واقعة السلطان، ص٥٤، ١٠٤-١٠٥.
(٢) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص١٠٢.
(٣) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص٦٨.
(٤) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٨٥. الصيرفي، نزهة، ج١، ص١٧٨.
(٥) ساقة الركب أي مؤخرة الركب، انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).
(٦) الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٢٤٤.

قال التجار الذين بطلت تجارتهم لكثرة ما انفق من الاموال وطعام البازين "فــي ســنة البــازين بطلت الموازين" وقالوا ايضا "في سنة أبي حنيش لافي إيش ولا على إيش"[١].

كانت الفروسية من أهم النشاطات الرياضية التي عرفتها القبائل العربية، وتتمثــل فــي مهارتهم بركوب الخيل ومعرفة أنسابها[٢]، حتى أن بعض السلاطين المماليك كالظاهر بيــبرس ومحمد بن قلاوون، اعجبوا ببراعة العرب في ترويض الخيل، فعهدوا لفرسان العرب برياضــة خيولهم[٣]. كما حرص هؤلاء السلاطين على مشاركة فرسانهم في سباقات الخيول التي كــانت تقيمها بعض القبائل العربية. ففي سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م) ، أمر السلطان الظاهر بيبرس أثنــاء إقامته في تروجة في البحيرة، بإقامة حفل لسباق الخيول، اشترك فيه نحو ألف فارس من عرب تروجة، وجملة من فرسان المماليك[٤] .

واستتبعت الحياة الاجتماعية الباذخة لبعض امراء القبائل عادة تعدد الزوجات[٥] والإكثار من الأبناء، حتى بلغ عدد أبناء أحد أمرائهم في العصر المملوكي، مئة من الأولاد الذكور[٦].

والزواج عند القبائل العربية سهل وميسور، ويتقدم اليه الشباب في سن مبكرة، ويفضلون لبناتهم الزواج من الأقارب على الغرباء، وفي كثير من الأحيان ترغم البنت على الزواج مــن الشخص الذي يختاره الأهل[٧]. ويتم الزواج عندهم وكذلك الطلاق وفقا للشــريعة الإســلامية،

---

(١) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص١٨٩٢-١٨٩٣.
(٢) اليوسفي، نزهة، ص ٢٨٠. المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٠٦.
(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٠٦.
(٤) ن.م.،ج١، ص ٥٦١.
(٥) علماء الحملة، وصف، ج٢، ص ٢٨٥-٢٨٧.
(٦) اليوسفي، نزهة، ص ٣٤٤. وانظر الجزيري، الدرر الفرائد، ج٣، ص ١٨٨٥.
(٧) علماء الحملة، وصف، ج٢، ص ١٢٩.

فكانوا يكتبون عقود الزواج بشروط مسمّاة أمام مجلس العشيرة، ويشهدون عليها الشهود• وتلعب حالة الزوج المادية ومكانته الاجتماعية دوراً في تحديد المهر[١].

- ولعبت المرأة دوراً مميزاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية، فعلاوة على قيامها بواجباتها نحو زوجها وأولادها وشؤون بيتها، كانت تقوم بغزل الخيوط ونسج الخيام والبسط[٢]، كما كانت تحيك الملابس وتحضر الماء، وترعى الغنم، وتصنع مشتقات الألبان كالجبن والزبد والسمن والإقط[٣].

وتأنف المرأة في مجتمع القبائل العربية أن تقاسم أخوتها الذكور في إرث والدها، فإذا مات الأب، ورث أبناؤه الذكور كل ما لديه من الإبل، مصدر الثروة الأساسي عندهم، وربما يعود ذلك لما تستوجبه رعاية الإبل من مشاق لا تقوى عليها المرأة، ويخصص للإناث لكل واحدة منهن جمل واحد، تحمل عليه هودجها عندما يرتحلون من موقع لآخر، فإذا مات الجمل أو مرض، استبدل بآخر على أن يقوم أخوتها بتلبية كل مطالبها الآخرى بما يكفل عيشها.[٤]

ولم ينحصر دور المرأة العربية ضمن مجتمع الأسرة المحدود، وإنما كان بعض النساء العربيات يمارسن الغناء في الأعراس والحفلات، واشتهرت منهن خديجة الرحابية حتى أصبحت من أعيان مغاني مصر، وعظم أمرها، "وحظيت بمكانة عند أرباب الدولة ورؤساء مصر"، ثم قبض عليها الامير يشبك الدوادار في بعض الأفراح بتهمة إفساد أعيان الناس، وأمر بضربها ومصادرتها[٥].

---

(١) علماء الحملة، وصف، ج٢، ص ٢٥٥.

(٢) عبدالعظيم الفرجاني، قبائل العرب في مصر، ص ١٩٤-١٩٦.

(٣) سمير القطب، انساب، ص ٢٧٢.

(٤) ن.م.، ص ١٠٦

(٥) ابن إياس، بدائع، ج٣، ص١٨٥.

وكانت النساء تمارس في المآتم تقاليد خاصة، ففي عزاء الأمير حسام الدين مـــهنا بـــن عيسى، الذي توفي سنة (٧٣٤هـ/١٣٣٣م)، كانت النساء تلطخن وجوههن بـــالدبس والرمـــاد تعبيرا عن الحزن[١]، وطلب السلطان الأشرف قايتباي سنة ١٤٧٩/٨٨٤ عددا من نساء عـــرب اليسار ليلطمن على وفاة عديله الأمير جانم "وكن يلطمن والسلطان ينظر إليهن"[٢].

- وتميزت حياة القبائل العربية بكثرة الفتن والحروب بين بطون القبيلة الواحدة أو بيـــن القبائل، حتى أصبح العداء بين بعض القبائل امرا تقليديا، كما كان حال بني سعد وبني وائل فـــي الشرقية، يقول القلقشندي: "ولم يزل بين بني سعد وبني وائل العداوة والشحناء، والوقائع التـــي يقتل فيها الجم الغفير من الفريقين، والأمر على ذلك إلى الآن"[٣]، أي حتى الـــربع الأول مـــن القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي).

وتجدر الاشارة إلى أن المنافسة على الزعامة بين شيوخ القبيلة الواحدة تؤدي إلى تـــأجج الصراع القبلي، وانقسام القبيلة بين المتنافسين، مما يذكي الحرب بينهم، وجلاء بعض القبائل عن مساكنها، فتعمد إلى أعمال التخريب وإفساد الزروع، والاعتداء على الفلاحيـــن[٤]. فعلـــى أثـــر الخلاف الذي وقع بين محمد بن عمر الهواري امير هوارة في الصعيد، وابن عمه علـــي بـــن غريب سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)، اشتعلت الفتنة بين بطون قبيلة هـــوارة فـــي الوجـــه القبلـــي، واشتركت فيها بقية بطون هوارة التي تقطن البحيرة، واتسع النزاع ليشمل قبائل أخرى كفـــزارة، وعرك، وبني الاحدب –الذين ناصروا علي بن غريب– فهاجموا بعض نواحي الوجه القبلـــي، وطردوا الكاشف وقتلوا عددا من مماليكه، فتوجهت إليهم عدة حملات مملوكية تمكنت من فـــض

---

(١) اليوسفي، نزهة، ص٣٨١.

(٢) إبن اياس، بدائع، ج٣، ص١٥٣.

(٣) القلقشندي، قلائد، ص٦٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٣٥. الأسدي، التيسير والاعتبار، ص٩٤. الصيرفي، إنباء، ص٧٦، ١٥٢، ٢٩١، ٤٢٧–٤٢٨. ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٥١٨–٥١٩، ج٢، ص٢٦١، ٣٦٥.

النزاع وإعادة القبائل إلى أماكنها[١]. وتكررت هذه الفتن بين بطون هوارة في السنوات (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٢]، و (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٣]، كما اشترك بنو وائل وبنو حرام من "عربان" الشرقية في فتنة هوارة سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، التي قامت بسبب خلاف حميد بن عمر الهواري وقريبه ابراهيم[٤].

وأدت المنافسة على الإمارة بين زعماء القبائل العربية في الوجة البحري، إلى اشتعال الحروب بينهم، كالحرب التي قامت بين بيبرس بن بيبرس بن بقر ونجم العايذي في الشرقية سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م)[٥]، ولم تتوقف تلك الحرب إلا بتدخل الدولة المملوكية ووقوفها إلى جانب بيبرس بن بقر كما حدث من قبل عندما انحازت الدولة لصالح أسرة ابن بقر في حربها مع هلبا بن سويد سنة (٨٥٣هـ/١٤٤٩م)[٦] .

- وتؤدي الظروف الطبيعية القاسية المتمثلة في الجفاف وانحباس الأمطار إلى اشتباك القبائل من أجل السيطرة على الأماكن الزاخرة بالمراعي والمياه، كما حدث لقبائل لبيد التي هجرت مساكنها في برقة، واتجهت نحو البحيرة، الامر الذي تسبب في قيام الفتنة بينها وبين أهالي البحيرة سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)[٧].

وقد نجم عن الصراعات المستمرة بين القبائل العربية في الوجهين القبلي والبحري، خراب بعض القرى والأعمال، وقتل الأهالي والاعتداء على الفلاحين، ومصادرة ممتلكاتهم،

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٣٥. ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٥١٨-٥١٩.

(٢) ابن اياس، بدائع، ج٢، ص٢٦١.

(٣) ن.م، ج٢، ص٣٦٥.

(٤) ن.م، ج٣، ص٣٦١.

(٥) ن.م، ج٤، ص ٩٣ .

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢١٦.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٩٢. ابن حجر، إنباء، ج٧، ص١٥٠، ١٩٢. الصيرفي، نزهة، ج٢، ص٣٤٨.

وأسر نسائهم وأطفالهم في بعض الأحيان، مما اشاع في حياتهم أجواء الحذر وانعـــدام الامـــن، وتشير المعلومات إلى كثرة وقوع مثل هذه الأعمال أثناء الفتن والحروب التـــي تنشـــب بيـــن القبائل[١] .

---

(١) انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤٣٥. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٩. ابن حجر، ابناء، ج٢، ص٦، ٩، ٤٥ و. ج٧، ص٧٢، ١٩٢، ٢١٦. الأسدي، التيسير والاعتبار، ص٩٣-٩٤. الصيرفي، إنباء، ص٧٦، ١٩٢، ٢٩١، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٣٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص١٦٦. ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص٤٠-٤١، ٢٦٦، ٢٦٨، و ج٣، ص٧٠-٧٢.

ثبت المصادر والمراجع

(أ)المخطوطات

- الخالدي، (القرن التاسع الهجري)، المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلـــى صناعــة الانشـــاء، مخطوط، مكتبة الجامعة الأردنية، قسم الميكروفيلم، شريط رقم ١٠٢٧، صورة من المكتبـة الوطنية، باريس، رقم ٤٤٣٩.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت ٩٠٢هـ)، تاريخ الســـخاوي، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم ٢٧٥.

- من مجموعة وثائق دير سانت كاثرين، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعـــة الأردنيـــة، شريط رقم ١٦٨٧، ١٦٨٦، صورة عن مكتبة الكونغرس.

(ب)المصادر المطبوعة:

-القرآن الكريم

-الأسدي، محمد بن خليل (ت٨٥٥هـ)، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب مـــن حسن التدبير والاختيار، (د.ط)، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

- الأصطخري، ابي إسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، كتاب معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ ابي زيد البلخي، (د.ط)، مكتبة الصـــدر، طهران ١٩٢٧.

- إبن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهـــور، ط١، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٣.

- البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت٦٢٩هـ)، الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر، (د.ط)، مطبعة المحلة الجديدة، القاهرة (د.ت).

- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ)، جغرافية مصر عن كتاب الممالك والمسالك، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، (د.ط)، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٠.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ١٦ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ط١، جزآن، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٠.

- الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الأنصاري الجزيري (القرن العاشر الهجري)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ط١، ٣ج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٨٣.

- ابن الجيعان، شرف الدين يحيى ابن الجيعان (ت ٩٠٠هـ)، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، (د.ط)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٤.

- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، ط١، ٩ج، تحقيق محمد عبد المعين خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٧.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط١، ٤ج، تحقيق عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان، (د.ط)، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، ط١، ٧ج، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٩.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ط) ، ٨ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، (ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم (د.ط)، تحقيق جرلون فان فلوتن، ليدن، برل ١٩٦٨.
- الخياري المدني، ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني، (ت١٠٨٣هـ)، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، (د.ط)، ٣ج ، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠.
- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي، (ت٨٠٩هـ) الانتصار لواسطة عقد الامصار، (د.ط) المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، ط١، ج١، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.
- ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (ت٧٩٥هـ)، الاستخراج لأحكام الخراج، ط١، المطبعة الاسلامية بالأزهر، القاهرة، ١٩٣٤.
- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ط)، ٢٣ج، أشرف على تحقيقه عبد الستار أحمد خراج، وزارة الارشاد والانباء، الكويت، ١٩٦٥.

- ابن زمبل، أحمد بن الرمال، (ت ٩٦٠هـ)، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، (د.ط)، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المعادي، ١٩٩٧.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (د.ط)، ١٢ج، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- السويدي، أبو الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي، (ت١٢٢٠هـ)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، جزآن ، دققه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- الشافعي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، (ت١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، ٤ج، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، (ت ٨٩٣هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط١، دققه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر (منسوب لابن الشحنة ت٩١٠هـ)، ط١، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم، (ت٦٨٤هـ)، تاريخ الملك الظاهر،الطبعة الأخيرة، ٣١ج، المعهد الالماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن صصري، محمد بن محمد بن صصري (أواخر القرن التاسع الهجري) الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، (د.ط)، تحقيق وليم برينر، مكتبة بودليان، اكسفورد، ١٩٦٣.

- الصيرفي، علي بن داوود الجوهري الصيرفي (ت٩٠٠هـ)، إنباء الهصر بأبناء العصر، (د.ط)، ٤ج، تحقيق حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

- نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، (د.ط)، ٣ج، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

- ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت٩٥٣هـ)، نقد الطلب لزغل المناصب، ط١، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢.

- علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، (العرب في ريف مصر وصحراواتها)، ترجمة زهير الشايب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٠.

- العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، (ت٧٥٠هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، ط١، تحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤتة، ١٩٩٢.

- مسالك الابصار في ممالك الامصار (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين)، ط١، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن)، (د.ط)، ٢ج، تحقيق ايمن فؤاد سيد، (د.ط)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، (د.ت).

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، (ت٨٠٧هـ)، تاريخ ابن الفرات، (د.ط)، المجلد التاسع، ٢ج، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، (د.ط)، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٨.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن احمد بن قاضي شهبة الأسدي (ت٨٥١هـ)، تاريخ أبن قاضي شهبة (د.ط)، ٣ج، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٧.

- القرشي، يحيى بن آدم القرشي (ت٢٣٠هـ)، كتاب الخراج، ط١، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط١، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط١، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة/بيروت، ١٩٩١.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، ١٤ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، ط١، جزآن، تحقيق وتعليق صبحي الصالح، جامعة دمشق، ١٩٦١.

- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

- محي الدين عبد الظاهر، (ت٦٩٢هـ) الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر، ط١، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦.

- المقدسي المعروف بالبشاري، (ت ٣٧٥ هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن عبد القادر بن علي المقريزي، (ت٨٤٦هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، ٨ج، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، (د.ط)، تحقيق عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، (د.ط) ، إشراف محمد مصطفى زيادة وجمـــال الديـــن الشـــيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريـــزي)، (د.ط)، ٤ج، مكتبـــة الآداب، القاهرة، (د.ت).
- اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،(د.ط)، ٣ج، تحقيق محمـــد حلمـــي أحمـــد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٧٣.
- ابن مماتي، أسعد بن مماتي، (ت٦٠٦هـ)، قوانين الدواوين، (د.ط)، تحقيق عزيز ســوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣.
- ابن منظور، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٢١، اعتنى بتصحيحه امين محمد عبد الوهاب، محمد صادق العبيدي، د ار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- الوطواط، جمال الدين محمد بن إبراهيم الكتبي (ت٧١٨هـ)، مباهج الفكر ومناهج العـــبر، ط١، تحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١.
- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ)، نزهة الناظر في سيرة الملك النـــاصر، ط١، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

ج-المراجع

- ابراهيم علي طرخان، النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوســطى، (د،ط)، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
- أحمد صادق سعد، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، ط١، دار إبن خلـــدون، بـــيروت، ١٩٧٩.
- اكرم حسن الثعلبي، التقويم (دراسة للتقويم والتوقيت والتاريخ)، ط١، دار صادر، بـــيروت، ١٩٩١.

- الباز العريني، المماليك، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧.

- بولياك، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، ط١، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٨.

- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (د.ط)، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٩٨٩.

- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

- حكيم عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، (د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

- سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.

- سمير عبد الرزاق القطب، انساب العرب، ط١، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.

- سيد مرعي، الزراعة المصرية، (د.ط)، وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، القاهرة، ١٩٧٠.

- عبد العال عبد المنعم الشامي، مدن مصر وقراها عند ياقوت، ط١، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١.

- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩.

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤.

- عبد العزيز نوار، تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ، (د.ط)، دار الفكـــر العربـــي، القاهرة، (د.ت).

- عبد العظيم الفرجاني، قبائل العرب في مصر، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧.

- عبد الفتاح محمد وهيبة، دراسات في جغرافية مصر التاريخيـــة، (د.ط)، مؤسســـة الثقافـــة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٦٢.

- عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الهجريـــة الثلاثـــة الأولـــى، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

- عبد المجيد عابدين، البيان والاعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبة فـــي وادي النيل، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.

- عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ثلاثـــة أجـــزاء، (د.ط)، المكتبـــة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩.

- فرحان أحمد سعيد، آل ربيعة الطائيون، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٣.

- محمد ابراهيم حسن، جغرافية مصر العربية وحوض البحر الأحمر(د.ط)، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٩٨.

- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية(د.ط)، أربعة أجزاء، مطبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨.

- محمد سهل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط١، جار النفـــائس، بـــيروت، ١٩٩٧.

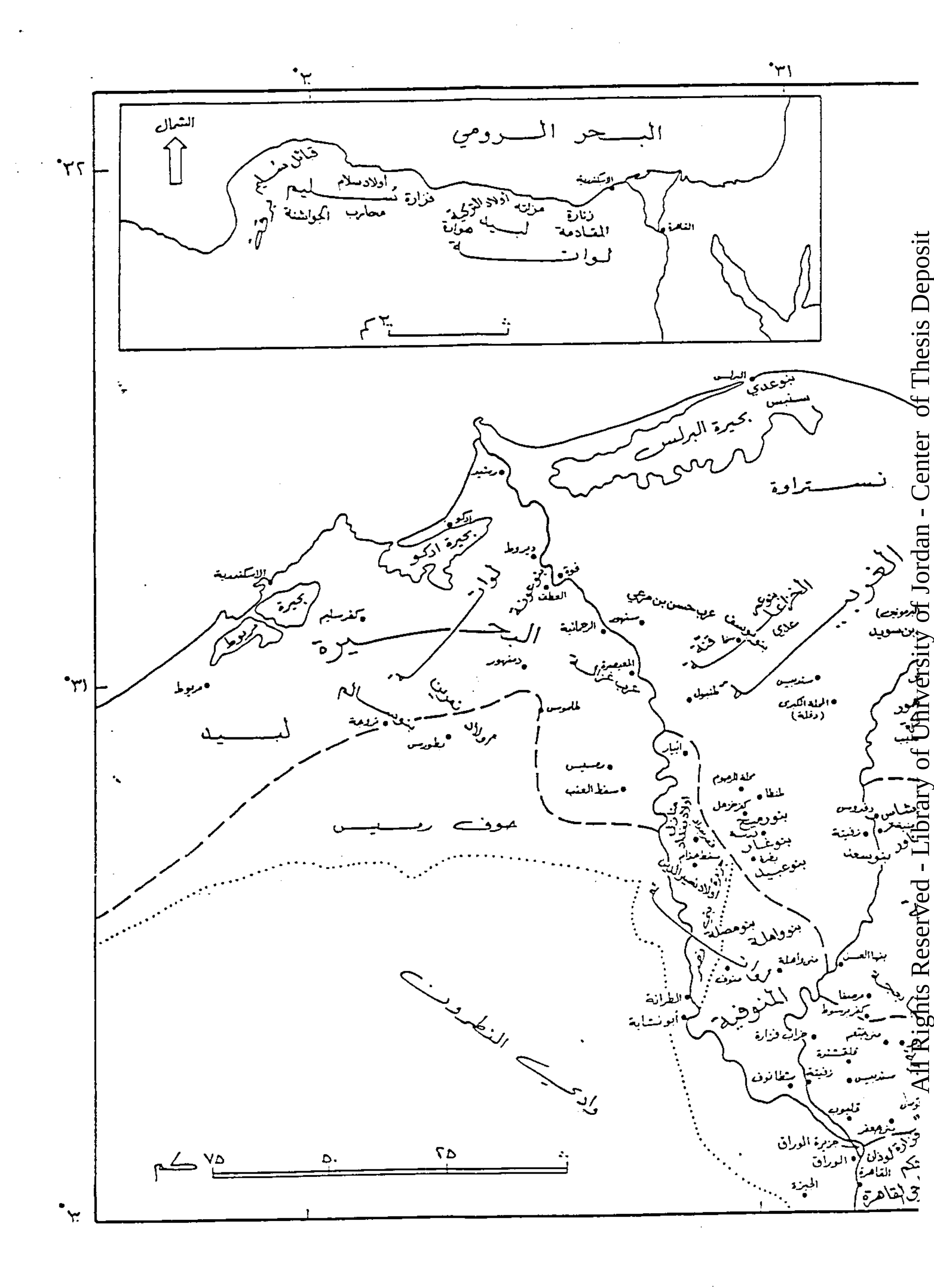
- محمد قنديل العقيلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.
- محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الايوبية والمملوكية، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٨.
- نعوم بك شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الاسلامية، ترجمة كامل العسلي، (د.ط)، عمان، ١٩٧٠.

د-الرسائل الجامعية

- عامر موسى نجيب، الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨.
- غيداء خزنة كاتبي، الخراج (ضريبة الأرض) بين الواقع التارخي والنظرية الفقهية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.

هـ-الدوريات

- حياة ناصر الحجي، التقسيم الاداري في مصر زمن المماليك الاتراك، المجلة العربية للعلوم الانسانية، المجلد العاشر عدد ٣٨، الكويت ١٩٩٠، ص٩-٣٤.
- محمد عيسى صالحية، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد التاسع، عدد ٤، جامعة اليرموك، ١٩٩٣، ص٥١-١٢٤.



البحر الرومي
الشمال
الإسكندرية
القاهرة
لواتة
رشيد
بحيرة البرلس
بحيرة ادكو
البحيرة
لبيد
المنوفية
وادي النطرون
الجيزة
الوراق
جزيرة الوراق
نستراوة
كم
٢٥
٥٠
٧٥
٣٠°
٣١°
٣٢°